مجلة الجامعة الإسلامية ، المجلد الحادي عشر ، العدد الثاني ، ص1 –ص51، 2003 م

معالم الفكر التربوي عند سيد قطب
من خلال تفسيره في ظلال القرآن

محمود خليل أبو دف*

كلية التربية – الجامعة الإسلامية – غزة

ص. ب : 108 – غــزة – فلسطين

MILESTONES IN SAYED QUTB'S EDUCATIONAL THOUGHT: WITH REFERANCE TO HIS BOOK "FE DELAL AL-QURAN"

ملخص هدفت الدراسة إلى الكشف عن معالم الفكر التربوي عند سيد قطب ، من خــلال تفسيره في ظلال القرآن ، توصلت الدراسة إلى نتائج عديدة يمكن تلخيصها فيما يلي :

- **تجسد الإعجاز التربوي في القرآن الكريم ، من خلال توافقه مع الفطرة الإنسانية وتركيزه على الأساليب العملية في التربية وتوجيهه المتعلمين نحو الانفتاح على خبرات الآخرين والاستفادة من التجارب النافعة .**
- **الفطرة الإنسانية لها استعداد مزدوج للخير والشر وهي عرضة للانحراف والفساد إذا مــا خرجت عن ناموس الكون وانغمست في الترف والملذات .**
- **قدم سيد قطب مفهوماً عملياً للتغير الاجتماعي والثقــافي ، مــن خــلال ربطــه بــالإرادة الإنسانية وتأكيده على دور التربية فيه وقد انسجم ذلك مع ما ذهبت إليه نظريــات علــم الاجتماع الحديثة .**
- **القيم في حياة الناس – من حيث المصدر – نوعان قيم السماء وقيم الأرض .**
- **الأسرة المسلمة محضن أساس وفاعل في تربية النشء المسلم ولا يمكن الاســتغناء عنــه وينبغي العمل على حمايته وتفعيل دوره التربوي .**

وجود الجماعة المسلمة ، ضرورة شرعية وتربوية ، تتمثل في إقامــة شــرع الله فـــي الأرض وقيادة البشرية وتربية الفرد المسلم ورعاية الأسرة المسلمة.

Abstract **This study aimed at revealing Sayed Qutb's educational thinking features through his interpretation of "Fi Zilal Al-Quran" (On the Shades of Holy Quran). The study concluded the following:**

1- The educational miracle of the Holy Quran has been embodied in its harmony with human nature and its concentration

---

* أستاذ مشارك بقسم أصول التربية .

on scientific techniques in education and the guidance it provides learners with towards openness on other people's experiences and making use of good ones.

2- Human nature is a dual readiness for good and evil and is liable to deviation and corruption if it deviates off the universe nature and indulges in luxuries and de lights.

3- Sayed Qutb has presented a practical meaning for social and cultural change through connecting it with human will and emphasizing the role of education in it. This is harmonious with modern sociology theories.

4- Values in people's lives-as regards their origin- are of two types: heavenly values and earthly values.

5- The Moslem family has an indispensable role in educating and bringing up the Moslem youngsters. This family should be protected and its educational role should be activated.

6- The existence of the Moslem group is both religious and educational necessity reflected in applying heavenly laws on earth, leading humanity, bringing up the Moslem individual and taking care of the Moslem family.

مقدمة

يمثل الفكر التربوي الإطار النظري ، لما يحتاجه المجتمع في بناء نظامه وبرامجه التربوية ووضع أسسها وقواعدها ويشير (الكيلاني) إلى أن النمو الحضاري والنمو الفكري يسيران جنباً إلى جنب ، وما الفكر التربوي إلاّ نتاج حضارة عريضة ، امتدت على مدار أربعة عشر قرناً من الزمان وقد استمد قوته وحيويته من الدين واستطاع الفكر التربوي الإسلامي ، أن ينتج الإنسان الصالح القادر على التكيف مع واقعه[1] .

وتأتي دراسة الفكر التربوي الإسلامي ، في كل مرحلة من مراحل التاريخ ، لتمكن الدارس من الوقوف على أفضل الأساليب وأجداها ، في إعادة صياغة عقلية الإنسان المسلم في ضوء التغيرات ، بدلاً من الوقوف جامداً ، حيال ما يجري حوله من أحداث[2] .

وقد حوى القرآن الكريم إطاراً عاماً للمعرفة والقيم وتصورات أساسية عن المجتمع وغير ذلك[3] ، وكان للقرآن الأثر الكبير ، في إعلاء قيم المسلمين وترقية فكرهم وأخلاقهم وضبط سلوكهم وتوجيههم نحو التأمل والتدبر سعياً إلى اكتشاف المجهول ، مما أثرى الحياة الفكرية .

وعلى الرغم من أن لكل مجتمع من المجتمعات ، فكره التربوي الخاص بـــه وأن ما يصلح لمجتمع لا يصلح لآخر ، إلا أن المتفحص لمناهجنا التربوية في العالم العربـــي يجدها– في كثير من جوانبها – متأثرة بالفكر الغربي[4] .

وقد نتج عن ذلك معاناة الواقع التربوي العربي والإسلامي ، مـــن الازدواجيـــة الخطيرة، الناتجة عن التبعية وفقدان الأصالة والذاتية ، التي ولّدتها العلمانية فـــي جميـــع مظاهر الحياة واتخذت لها أبعاداً خطيرة ، أدت إلـــى الثنائيـــة والإنشـــطار فـــي الكيـــان الاجتماعي والفكري[5] .

وخروجاً من دائرة التخلف والضعف الحضاري والتراجـــع فـــي مجـــال الفكـــر التربوي ، كان لا بد من إعادة النظر في تراثنا الثقافي ، لنجد فيه ضالتنا ونســـتلهم منـــه عوامل نهضتنا من جديد .

ويشير (زيغور) أن لكل مرحلة زمنية ، سماتها ومنابعهـــا وعلماءهـــا وفكرهـــا المنبثق عن حركتها الحضارية والإنسانية ، حيث لا تخلو حقبة من نموٍ في حركة الفكـــر التربوي الإسلامي ، مهما أصابها من الضعف[6] .

وقد عرض (أبو العينين) للاتجاه الإسلامي في الفكر التربوي الحديث واعتبر سيد قطب واحداً من رموزه في مرحلة المجاهدين (المعاناة) وأشار إلى جهوده فـــي المنافحـــة عن الثقافة الإسلامية والفكر التربوي الإسلامي ، ضد النزعات الغربيـــة المتطرفـــة فـــي مجال الأدب والتربية وغير ذلك[7] فكان رائداً للفكر الإسلامي كما وصـــفه العديـــد مـــن الكتاب المعاصرين، ولسيد قطب مؤلفات عديدة متنوعة في الأدب والتربيـــة والاجتمـــاع والاقتصاد والدعوة والسياسة وكان من أبرز أعماله ، تفسيره في ظلال القرآن الكـــريم ، الذي قدم من خلاله تراثاً فكرياً تربوياً ، جاء بين سطوره ، مختلطاً بآراء وأفكار عديـــدة ومع ذلك لم يأخذ هذا التفسير، حقه من الدراسة التربوية العلمية إلا ما ندر ، فـــي حـــين اهتم الباحثون بدراسة فكره الاقتصادي والدعوي والأدبي من خلال كتاباته العديدة .

ومن هنا تمخضت فكرة الدراسة ، علماً بان الباحث قد اهتم بدراسة تفسير الظلال مع بداية الثمانينات وزاد الاهتمام به أكثر قبل ست سنوات ، حيث لاحظ غناه بالمضامين التربوية العديدة .

مشكلة الدراسة

في ضوء ما سبق ، يمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي :

ما أبرز معالم الفكر التربوي عند سيد قطب من خلال تفسيره في ظلال القرآن الكريم ؟

ويتفرع عن السؤال الرئيس ، الأسئلة الفرعية التالية :

1- ما أهم خصائص المنهج الإسلامي في التربية كما يراها قطب ؟
2- ما مفهومه عن الطبيعة الإنسانية ؟
3- ما تصوره عن القيم ؟
4- ما نظرته للتغير الاجتماعي والثقافي ؟
5- ما أبرز آرائه حول الأسرة المسلمة كوسيط تربوي وتربية الجماعة المسلمة ؟

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى ما يلي :

1- التعرف إلى خصائص المنهج الإسلامي في التربية كما تصورها قطب في تفسيره.
2- الكشف عن مفهومه للطبيعة الإنسانية .
3- إبراز تصوره عن القيم .
4- الكشف عن نظرته للتغير الاجتماعي والثقافي .
5- التعرف إلى آرائه حول الأسرة المسلمة كوسيط تربوي وتربية الجماعة المسلمة .

أهمية الدراسة

تكتسب الدراسة أهميتها من خلال ما يلي :

1- كونها محاولة للكشف عن جوانب تربوية في تراثنا الإسلامي والتأصيل لها مما يعد خطوة نحو بناء نظرية تربوية إسلامية .
2- يمكن أن يستفيد من نتائج الدراسة أهل التفسير والدعاة والمهتمين بتأصيل العلوم التربوية.

3- تفتح الدراسة الطريق أمام الباحثين التربويين ، لإجراء المزيد من الدراســات حــول كتابات سيد قطب .

4- افتقار البيئة الفلسطينية بشكل خاص والبيئة العربية بشكل عام إلى هذا النــوع مــن الدراسات في حدود علم الباحث .

حدود الدراسة

تدور الدراسة حول تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب وتتناول جوانب عديدة من فكره التربوي فيما يخص رؤيته لخصائص المنهج الإسلامي في التربية والطبيعة الإنسانية والقيم والتغير الاجتماعي والثقافي والأسرة المسلمة كوسيط تربــوي وتربيــة الجماعــة المسلمة .

مصطلحات الدراسة

تستخدم الدراسة المصطلح التالي :

الفكر التربوي

يقصد بالفكر "اسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان، سواء أكان قلبــاً أو روحاً أو ذهناً بالنظر والتدبر، لطلب المعاني المجهولة أو الوصول إلــى الأحكــام أو النسب من الأشياء"[(8)] .

وعرف الفكر التربوي ، بأنه عبارة عن جزء من فكر إنســاني مبــدع ، يتســم بالديناميكية والتطور المستمر في ميدان التربية ويستند إلى تاريخ المجتمع وفلسفته وثقافته وصفاته وحاجاته[(9)].

ويُعرف الباحث الفكر التربوي هنا بأنه " جملة المفــاهيم والآراء والتصــورات والمبادئ التربوية المستمدة من الكتاب والسنة والاجتهاد الموافق لــروح الإســلام ، مــن خلال إعمال الفكر ".

وأما معالم الفكر التربوي عند سيد قطب فيمكن تعريفها إجرائياً بأنها " جملة مــن المفاهيم والآراء والتصورات المتضمنة في تفسير الظلال والمتعلقة بخصــائص المــنهج الإسلامي في التربية والطبيعة الإنسانية والقيم والتغير الاجتمــاعي والثقــافي والأســرة المسلمة كوسيط تربوي وتربية الجماعة المسلمة " .

منهج الدراسة

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي للوقوف على الأفكار التربوية التي تضمنها تفسير في ظلال القرآن وذلك من خلال الاستعانة ببعض المعاجم المفهرسة لموضوعات الظلال، في تحديد العديد من العناوين التي يمكن أن ينـدرج تحتها آراء وأفكار تربوية إضافة إلى وقوف الباحث على مواطن عديدة في تفسير الظلال وتحديد أبرز المعاني التربوية المتضمنة فيه وتصنيفها ومن ثم إدراجها تحت الجوانب الخاصة بها والتي ذكرت في أسئلة الدراسة التي أجاب عنها فيما بعد .

الدراسات السابقة

أجريت العديد من الدراسات ، حول الفكر الإسلامي عند سيد قطب فتناولت جوانب عديدة فيه ، وقد جاء معظمها على شكل كتب ، ويمكن إجمال أبرز هذه الدراسات فيما يلي :

1- أجرى أبو فارس (1999) دراسة حول منهج التغيير عند الشهيدين حسن البنا وسيد قطب هدفت إلى بيان منهج التغيير لدى الشهيدين من خلال نظرتهما وحكمهما على الأنظمة والمجتمعات ووسائل التغيير ومراحله وما يعقب ذلك من بشارة وأمل في النصر والتمكين ، توصلت الدراسة إلى أن كلاً من الشهيدين، قد كان يصدر من مشكاة واحدة ، كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأنهما حددا بوضوح واتفقا بشكل جلي على مفردات منهج التغيير وأفكاره ، من حيث الموقف من الأنظمة المعاصرة والحكم عليها والعمل على تغييرها ووسائل ذلك[10].

2- قام الحوراني (1999) بدراسة حول الفكر الاقتصادي عند سيد قطب من خلال كتاباته ، استهدفت الكشف عن إسهاماته في مجال الفكر الاقتصادي في الإسلام وركّز على المفهومات المذهبية والأسس العقائدية في هذا المجال والتي تبرز بشكل واضح في اهتمامات سيد قطب وآرائه الاقتصادية التي عالجها في سياق طروحاته الشاملة لمنظومة الحياة والإنسان والكون ، وكان من أبرز ما توصلت إليه الدراسة :

- أن العقيدة الإسلامية تنبع من قوة الدافع الفطري لدى الإنسان وتحدث تطورات إنسانية أكثر عمقاً ودافعية من تأثير المذاهب الاجتماعية والنظريات الاقتصادية

وبالتالي ، لن تبلغ هذه المذاهب والنظريات الوصول للأهداف الإنسانية الفاضلة ، مـــا لم تستند إلى عقيدة روحية خالصة تدعم مواقفها في توجيه العلاقات الاقتصادية .

- يحقق مبدأ الاستخلاف ، الكرامة اللائقة للإنسان وينشئ علاقة إيجابية مستعلية علـــى القيم المادية ويتضمن مفاهيم الإصلاح للأرض والعمل والإنتاج .
- يقاس التقدم الاقتصادي بالمعيار الإنساني ، الذي يضبط قيم الحياة وأنماط العلاقة فيها وليس بالمعايير المادية التي تلجأ إليها النظم الوضعية كأدوات مطلقة لتقيـيم أشـكال التطور والرفاه .
- يشكل عمل المرأة في نطاق البيت حالة الاستثمار الأمثل في المورد البشري ، بينمـا يمثل إنفاق طاقتها في الإنتاج المادي في نطاق السوق ، فاقداً اقتصادياً فـي صـناعة الإنسان(11).

3- تناول شبيب (1994) منهج سيد قطب في الدعوة ، بقصد الكشف عن خصائص هـذا المنهج ، استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي ، توصلت الدراسة إلى ان سيد قطب لا يعتبر الدعوة ابتداءً – مجرد عملية نقد قولية للمبادئ والأفكار ، بـل يعتبرها عملية تحقيق للواقع الإسلامي من خلال تغيير الواقع الجاهلي كله ، تصـوراً واعتقاداً وشريعة ومنهج حياة وقد تجسدت ملامح منهجه فـي الـدعوة مـن خـلال المبادئ التالية : الانطلاق من العقيدة ، اعتماد التربية الفكرية والسلوكية ، الاعتمـاد على العمل الجماعي، بناء القاعدة الجماهيرية ، اعتماد المرحلية(12) .

4- أجرى الطرابلسي (1993) دراسة بعنوان "التغيير الجذري في فكر الشهيد سيد قطب" استهدفت الدراسة إلقاء الضوء على جوانب مهمة في فكر سـيد قطـب وبـالأخص الجوانب العملية منها والتي حددت مسار بعض الحركات الإسلامية التي نشأت علـى نهجه ، استخدم الباحث في دراسته المنهج التحليلي والمـنهج المقـارن ، توصـلت الدراسة إلى نتائج عديدة من أبرزها :

- ضرورة البدء من الخلافة الإسلامية وتغيير المجتمع لمواجهة الأنظمة الجاهلية .
- إن وظيفة العقل تتجسد في التلقي عن رسالة الإسلام وفهمها وليس محاكمة مقـررات الدين .

- إن الذين يفزعون من الدعوة إلى إقامة مجتمع إسلامي ، إنما يقيمون تخـوفهم علـى غير أساس ويستمدونه من الجهل بحقيقة الإسلام .
- إن الجهاد ضرورةً للدعوة التي تسعى إلى تحرير الإنسان كما أن هزيمـة الجاهليـة بمفاصلتها لا بالمشاركة فيها[13] .

5- أعد كشميري (1986) دراسة حول " سيد قطب الأديب العملاق والمجدد الملهم فـي ضوء آثاره وإنجازاته الأدبية " ، هدفت الدراسة إلى إبراز منزلته الأدبيـة والكشـف عن جوانب وأبعاد شخصيته ، استخدم الباحث المنهج التحليلي والمنهج التـاريخي ، جاءت الدراسة على شكل كتاب تضمن ثلاثة أبواب ، عرض الباحث في الباب الأول لنشاط قطب وظهوره كأديب وتحدث عن اتجاهه الشعري في الباب الثـاني وتنـاول آثاره الأدبية في الباب الثالث، توصل الباحث إلى نتائج عديدة كان من أبرزها :

- أن فترة الثلاثينات ، كانت من حيث العموم فترة الاختمار الثقافي لشخصية سيد قطب ، قلّد فيها عباقرة الأدب مثل العقاد وطه حسين وحاكاهم في موضـوعاتهم وطـرق معالجتهم لها ثم ازدهرت مواهبه وقوي عضده فأصبح مستقلاً بنهجه وأسـلوبه فـي الأربعينات وأوصى الباحث بضرورة إعادة النظر في التصـورات الأدبية في ضوء قيم الأمة العربية وتراثها الإسلامي[14].

6- أعد ياسين (1983) دراسة بعنوان " التربية الإسلامية في ظلال القـرآن ، دراسـة حركية" هدفت الدراسة إلى تحديد أبرز المبادئ التي يفترض أن توجه سلوك الـدعاة إلى الله وإبراز الحاجة إلى الإسلام والكشف عن أساليب الأعـداء فـي محاربتـه ، استخدم الباحث المنهج التحليلي والمنهج الاستقرائي ، توصلت الدراسة إلى ما يلي :

- التضحيات بجزء من الشريعة ، من أجل جمع الصفوف سلوك يتعارض مع الإيمان .
- إقرار سلطان الله وحده وإبطال سلطان الطواغيت من مدلول الشهادة .
- تحارب الجاهلية الإسلام لكونه ينزع منها سلطان الألوهية ويردها إلى الله عز وجل .
- من أبرز وسائل الكفار في محاربة الإسلام ، تشويه الحركات الإسـلامية الصـحيحة وإنفاق الأموال للصد عن سبيل الله والتشكيك في عالمية الإسلام[15] .

7- أجرى فائز (1980) دراسة حول " دستور الأسرة في ظـــلال القـــرآن " اســـتهدفت الكشف عن آراء وتصورات سيد قطب عن المرأة المسلمة والقواعد التنظيميـــة فـــي بناء الأسرة وسبل صيانتها والعلاقات الإنسانية داخلها والوسائل الوقائية لحمايتهـــا ، استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي والمـــنهج المقـــارن ، توصـــلت الدراسة إلى العديد من النتائج من أبرزها :

- تكريم الإسلام للمرأة وإعطائها الكثير من الحقوق التي سلبتها إياها الجاهلية القديمـــة والمعاصرة .
- أقام الإسلام نظام الأسرة على أسس إيمانية وأخلاقية وإنسانية بما يكفل صيانتها مـــن التفكك والانحراف ويحقق أهدافها المنشودة .
- قدم البيت النبوي نموذجاً يقتدى به في مجال الترجمة الصحيحة لعقيدة الإســـلام بكـــل خصائصها(16) .

التعليق على الدراسات السابقة

يتضح من خلال استعراض الدراسات السابقة ما يلي :

1- بروز سيد قطب وازدهار مواهبه ، كمفكر صاحب مدرسة واتجاه، كان فـــي بدايـــة الأربعينات.
2- اتصاف فكر قطب الإسلامي ، بالشمولية وتعدد الجوانب والاهتمامات فقد كـــان لـــه أفكار وتصورات في مجال الدعوة والأدب والاقتصاد والاجتماع والتربية والسياسة .
3- اهتمام قطب الكبير بقضية التغيير الشامل والجذري في حيـــاة المســـلمين ، تحقيقـــاً لأهداف الإسلام وسعياً لإقامة المجتمع المسلم والخلافة الإسلامية كبديل عن الجاهلية.
4- انطلق قطب – في كل ما يطرح من أفكار وتصورات – من العقيدة الإسلامية ســـواءً كان ذلك في المجال الأدبي أو الدعوي أو الاقتصادي أو التربوي .
5- تناولت الدراسة الحالية، الجانب التربوي في فكر سيد قطب من خلال عرض بعـــض القضايا الهامة، وهذا ما لم تفعله الدراسات السابقة باســـتثناء دراســـة أبـــو فـــارس (1999) التي عالجت جوانب من منهج سيد قطب في التغيير ، مما يؤكـــد علـــى أن موضوع الدراسة جديد بالتناول.

خطوات الدراسة

ستمر الدراسة بالخطوات التالية :

أولاً : حياة سيد قطب .

ثانياً : تفسير في ظلال القرآن وقيمته التربوية .

ثالثاً : خصائص المنهج الإسلامي في التربية كما يراها سيد قطب .

رابعاً : مفهوم الطبيعة الإنسانية عند سيد قطب .

خامساً : القيم كما يتصورها سيد قطب .

سادساً : نظرة سيد قطب للتغير الاجتماعي والثقافي .

سابعاً : الأسرة المسلمة كوسيط تربوي .

ثامناً : تربية الجماعة المسلمة .

النتائج والتوصيات .

أولاً : حياة سيد قطب

أ) مولده ونشأته

هو سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي ، ولد في قرية " موشة " إحدى قرى محافظة أسيوط في 1906/10/9م ، نشأ في أسرة متدينة وكان لأبويه أثر كبير في تنشئته ، حيث تركا لمساتهما على الكثير من جوانب شخصيته وغرسا فيه الإيمان والطهـر والعفـاف ، فوالده كان صالحاً ملتزماً ، يرتاد المساجد للصلاة ووالدته كانت محافظة على دينها مؤدية لفرائض الإسلام متصلة بالقرآن وأثرت هذه التربية في نفسه ، فنشئ على تعاليم الإسـلام وكان حريصاً على أداء الصلوات في المساجد وهو طفلٌ صغير(17) .

ب) أخلاقه وصفاته

جمع سيد قطب العديد من السمات النفسية والفكرية والخلقية الحسـنة كـان مـن أبرزها: المثابرة والاجتهاد والنشاط الدؤوب ، تمتعه بذاكرة قوية متّقدة ، غيرته الشـديدة على دينه ، الجود والعطاء والإيثار والتضـحية ، الانفتـاح علـى المفكـرين والأدبـاء والإعلاميين ، الجرأة في قول الحق وعدم المهادنة فيه ، الثبات على المبـدأ والإصـرار

على الحق ، الاستعلاء على المساومات والإغراءات والزهد في متاع الحياة ، الصبر على المحن والرضا بقضاء الله[18].

ج) شخصيات تأثر بها

من الأساتذة الذين أثروا في سيد قطب وحرصوا على غرس الفضائل في نفسه ، ناظر المدرسة الذي كان شديد العناية بتربية التلاميذ تربية روحية وخلقية وعدم الوقـــوف بهم، عند حدود المعلومات المدرسية الجافة[19] .

وكان من أبرز الشخصيات التي أثرت في سيد قطب ، العقاد حيث بدأت صـــلته به في وقت مبكر من حياته ، فما أن وطأت قدماه القاهرة وبدأ يتعرف على مـــن فيهـــا ، وجد نفسه في مكتبة العقاد الضخمة وكان العقاد علماً من أعلام الأدب والمعرفة والثقافـــة وقد أسس مدرسة متميزة كان هو رائدها[20] .

وقد لازم سيد قطب صحبة العقاد ونشأ تحت رعايته وكـــان تلميـــذه المســـتوعب وصديقه الحميم ومحاميه في المعارك الأدبية وخليفته في الأدب والنقد وقد دافع عنه بمـــا عنده من قوة وكان مخلصاً وفياً له[21] .

كما أعجب سيد قطب بالإمام الشهيد حسن البنـــا ، مؤســـس جماعـــة الإخـــوان المسلمين واستحسن طريقته في بناء الجماعة على أسس روحية وخلقية ونفســـية وفكريـــة بطريقة متوازية[22].

د) شخصيته العلمية ومؤلفاته

تميزت حياته العلمية بالثراء والتنوع ، كأديب وناقد ومفكر ومربي ، وكان مولعاً بالقراءة وهو صغير ، يتردد على بائع كتب في القرية يدعى **(**العم صـــالح**)** وكـــان ســـيد زبوناً ممتازاً عنده ، يعرفه جيداً ويحتفظ له بأجود الكتب ولم يكن ليبخـــل علـــى الكتـــب بالمال، مهما ارتفع سعرها[23] .

وحينما كبر سنه وبلغ مرحلة الشباب ، ازداد حبه للاطلاع فكان الحـــد الأدنـــى لساعات مطالعاته – يومياً – عشر ساعات[24] .

أقبل قطب على حفظ القرآن وهو في السنة الثانية الابتدائية وعمره ثماني سنوات وبعد ثلاث سنوات ، أتمّ حفظ القرآن كاملاً وكان يتحدى من يواجهه ويطالبه أن يمـــتحن حفظه وأن يسمع له ما شاء من السور والآيات[25] .

التحق سيد قطب بكلية دار العلوم عام 1929 وتخرج فيها عـــام 1933 ، يحمـــل شهادة البكالوريوس في الآداب[26] .

برزت اهتماماته التربوية وهو طالب في دار العلوم وكان من أسباب عدم رضاه عن مناهج الدراسة فيها ، أنها تفتقر إلى موضوعات التربية وعلم النفس[27] .

عمل سيد قطب بعد تخرجه مدرساً في مدارس وزارة المعارف لمدة ست سنوات وكان مهتماً بتطوير العملية التربوية في الوزارة ، لا ينفك عن تقديم المقترحات ، ثم انتقل إلى وزارة المعارف وشغل عدة وظائف فيها ، في مراقبة الثقافة وفي التفتيش وفي العـــام 1949 ، أوفدته وزارة المعارف إلى أمريكا في بعثة تربوية ميدانيـــة ، للاطـــلاع علـــى مناهج التربية والتعليم هناك وأقام في أمريكا سنة واحدة ثم عاد[28] .

وذكر بعض الباحثين ، أن سيد قطب عُيِّن في منصب مستشار ثقـــافي للضـــباط الأحرار وكان بإمكانه الوصول إلى أعلى المناصب ، لولا اختلافه معهـــم علـــى أهـــداف الثورة والتي كانت تتمثل عنده في تطبيق أصول المنهج الإسلامي وفيما بعـــد ، عُـــرض عليه منصب وزير التربية ولكنه رفض ، ليقينه أنه لن يُعطى الحريـــة الكافيـــة لتطبيـــق المنهج الإسلامي في العملية التربوية[29] .

وظهر سيد قطب – كمفكر بارز – منذ العام 1953 ، عنـــدما انتمـــى لجماعـــة الإخوان المسلمين، فكانت هذه المرحلة، من أفضل مراحل حياته الإسلامية وأكثرها عطاءً وجهاداً ودعوة وفكراً ، حيث أجرى دراسات وألَّف كتباً متميزة وبذا أصبح رائـــداً للفكـــر الإسلامي المعاصر ، من حيث عرضه وبيانه ومجاهدة الجاهلية به ومن حيـــث صـــياغة المسلم على أساسه[30] .

ولقد أشرف سيد قطب على التنظيم الحركي الجديد للإخوان المسلمين ، بموافقـة حسن الهضيبي المرشد العام للإخوان المسـلمين وكـان الموجـه الفكـري والتربـوي للجماعة[31] .

وإذا كان حسن البنا – كما ذهب كشميري – يعد البذرة الصالحة للفكر الإسلامي المعاصر ، فإن سيد قطب يمثل الثمرة الناضجة لذلك الفكر المستنير[32] وقد بلغ من آثاره الفكرية – كما أشار العظم – أنه " زرع في كل بيت كتاباً ، ينير العقول وفكراً يهتدي بـه الأجيال"[33] .

وقد اشتهر سيد قطب بغزارة إنتاجه العلمي ، حيـث خلّـف وراءه عـدداً مـن الدراسات الأدبية والفكرية كان من أبرزها :

1- مهمة الشاعر في الحياة .
2- نقد كتاب – مستقبل الثقافة في مصر لطه حسين .
3- التصوير الفني في القرآن .
4- العدالة الاجتماعية في الإسلام .
5- معركة الإسلام مع الإلحاد .
6- السلام العالمي والإسلام .
7- في ظلال القرآن الكريم .
8- هذا الدين .
9- المستقبل لهذا الدين .
10- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته .
11- الإسلام ومشكلات الحضارة .
12- معالم في الطريق .

وأورد الخالدي ، عناوين لواحدٍ وثلاثين بحثاً لسيد قطب ، لم يقـدر لهـا الله أن تنشر فضاعت فيما ضاع من تراثه وأتلفت فيما أتلف من نتاجه بعد محنته الأولى والثانية مع الظالمين[34] .

هـ) محنته واستشهاده

بعد أن انتظم سيد قطب في جماعة الإخوان المسلمين عام 1953 ، بدأت محنتـــه فكان ضمن ضحايا تنكيل وبطش رجال الثورة بجماعة الإخوان ، حيــث حكمــت عليـــه محكمة الثورة لمدة خمسة عشر عاماً ، قضى معظمها في مستشفى سجن ليمـــان طـــرة ، لإصابته بأمراض كثيرة ، ثم أفرج عنه عام 1964 بعفو صحي ، عاش بعـــدها شـــهوراً خارج السجن ثمّ أعيد إليه 1965 بتهمة التآمر على قلب نظام الحكم، ثمّ نفذ في حقه حكـــم الإعدام بتاريخ 1966/8/29[35] وهكذا مضى سيد قطب شهيداً معتصماً بعقيدته ثابتاً على مبدئه ساخراً من جلاديه ، وقد اعتبر بعض أهل العلم والفكر أن " شهادة الكاتب الإسلامي الكبير والمجاهد العظيم سيد قطب، شهادة ذات عدة جوانب وأن فيها خسارة للعلم والدعوة وخسارة الفكر والأدب والمعارف ولكنها فوق كل هذا ، خسارة ذلك القلم الثـــائر القـــوي المتدفق كالينبوع العامر بالإيمان ، القلم الذي زمجر كالعاصفة والتهب كالشـــعلة وتحـــرّق كالشمعة وأشرق كالسيف ، ذلك القلم الذي أمسك به العالم العربي ، يدافع به عن إســـلامه ويهجهم به على أعدائه ويتشرف به بين أقلام أدبائه "[36] .

ثانياً : تفسير في ظلال القرآن وقيمته التربوية

استمرت قراءة سيد قطب للقرآن الكريم ومطالعته مدةً طويلة وقد تحدث عن ذلك قائلاً : " إن الذي يكتب هذه الكلمات ، قضى – ولله الحمد والمنّة – في الصحبة الواعيـــة الدارسة لهذا الكتاب خمسة وعشرين عاماً ، يجول في جنبات الحقائق الموضـــوعية لهـــذا الكتاب في شتى حقول المعرفة الإنسانية ، ما طرقته معارف البشر وما لم تطرقه ويقـــرأ في الوقت ذاته ، ما يحاوله البشر من بعض هذه الجوانب ويرى ذلـــك الفـــيض الغـــامر المنفسح الواسع في هذا القرآن "[37] .

ومن خلال القراءة المتأنية لتفسير الظلال ، يتضح للقارئ أن سيد قطب ، انطلق وهو يكتب تفسيره من ثقافة موسوعية شاملة متعددة الجوانب وفي شتى نواحي المعرفـــة الإنسانية من آداب وعلوم ومعارف عربية وأجنبية وثقافة دينية وأدبية وتاريخية وسياســـية واقتصادية ونفسية وعلمية وقد استخدم هذه الجوانب في تفسيره للقرآن الكـــريم[38] وقـــد

انعكس ذلك على فكره التربوي ، الذي جاء بين سطور تفسيره ، معبراً عن روح الإسلام أصيلاً غنياً بالمفاهيم والآراء والتصورات والمبادئ التربوية المتنوعة .

وقد أشار (الخالدي) إلى ابرز الأهداف التربوية لتفسير الظلال والمتمثلة في الآتي:

1- تزويد المسلم المعاصر بدليل عملي مكتوب ، إلـــى ســمات الشخصـــية الإســـلامية المنشودة ولذلك كان يركز –عند تفسيره للآيات– علـــى الجانـــب العملـــي لمعناهـــا والإيحاءات الحية التي تقود العاملين في طريق الدعوة والإصلاح ولهذا نراه يركّـــز كثيراً ، على بيان طبيعة الإيمان وحقيقته وقيمته ومقوماته في الحياة الإنسانية وآثاره في النفس والسلوك والحياة على مستوى الفرد والمجتمع .
2- بيان ملامح وسمات المجتمع الإسلامي ، الذي ينشئه القرآن الكريم والتعريف بالأسس القويمة ، التي يقوم عليها ورسم الطريق الحركي الجهادي لإنشائه وذلك من منطلـــق أن الجماعة ضرورية لتربية الأفراد تربية قرآنية ناجحة .
3- بيان معالم الطريق الذي تسلكه الجماعة المسلمة إلى ربّها ورســـم ســـماته وتحديـــد مراحله والتحذير من الفتن والمغريات والمعوقات فيه[39] .

ومن خلال استقراء تفسير الظلال ، يتضح أن سيد قطب قد عالج قضايا تربويـــة عديدة لعل من أبرزها ، التصور الإسلامي عن الإنسان والكـــون والحيـــاة ، خصـــائص المنهج الإسلامي في التربية ، الطبيعة الإنسانية ، القيم ، التغير الاجتمـــاعي والثقـــافي ، الأسرة المسلمة كوسيط تربوي ، تربية الجماعة المسلمة ، نظرة الإسلام إلـــى المعرفـــة والعلم ، جوانب أساسية في تربية الشخصـــية المســـلمة – التربيـــة العقائديـــة ، التربيـــة الأخلاقية، التربية الجهادية ، التربية الاجتماعية .

ثالثاً : خصائص المنهج الإسلامي في التربية كما يراها سيد قطب :

تناول قطب خصائص المنهج الإسلامي في التربية، بما يجسد نواحي الإعجـــاز التربـــوي في هذا المنهج الرباني المستمد من كتاب الله وسنة رسوله الكريم عليه الصـــلاة والســـلام ويمكن بيان أبرز هذه الخصائص ، كما وردت في تفسير الظلال على النحو الآتي :

أ) الانطلاق من التصور العقائدي

فالمنهج الإسلامي في التربية ، يقوم على أساس إرساء التصور الاعتقادي وجعله المحرك الأول والأكبر في النشاط الإنساني[40] .

وتمثل العقيدة الإسلامية " أصل الحياة الكبير ، الذي ينبثق منه كل فرعٍ من فروع الخير وتنطلق منه كل ثمرة من ثماره "[41] .

وقد جاءت السنة النبوية ، لتؤكد أهمية العقيدة في التربية ، حيث كانت تربيته صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، مبنية على أسس عظيمة وأصول كبيرة أولها العقيدة الصحيحة التي حواها القرآن الكريم ، بما فيه من الآيات التي تدعو إلى التوحيد[42].

ولكي تؤتي التربية ثمارها فإن " المنهج الإسلامي في التربية ، يربط بين العبادة وحقائق العقيدة في الضمير ويجعل العبادة ، وسيلة لاستحياء هذه الحقائق وإيضاحها وتثبيتها في صورة حية ، تتخلل المشاعر ولا تقف عند حدود التفكير وقد ثبت أن هذا المنهج وحده ، هو أصلح المناهج لإحياء هذه الحقائق ومنحها الحركة في عالم الضمير وعالم السلوك وأن الإدراك النظري وحده لهذه الحقائق لا يحركها حركة دافعة في حياة الفرد ولا في حياة الجماعة "[43] .

ب) مخاطبة الفطرة الإنسانية بالآيات الكونية

التربية بالآيات من أساليب التربية الإسلامية الفاعلة ويقصد بها " تربية عقل الإنسان وسمعه وبصره ومشاعره بالآيات، على حسن الإدراك وعلى الاستبصار واستخدام الحواس وإرهافها لتوصله إلى معرفة مسبب الأسباب ومعرفة الحق في كل النتائج والأسباب "[44] .

وقد لخص (النحلاوي) أهم أهداف التربية بالآيات في الآتي :

1- بيان الحق للإنسان وإظهاره له جلياً .
2- تقديم البرهان على توحيد الله بالألوهية والربوبية .
3- ترسيخ الإيمان باليوم الآخر .

4- تربية الإنسان على الخوف من الله والابتعاد عن المحرمات[45] .

ويشير قطب إلى تميز المنهج الإسلامي في التربية ، من حيث كونـــه " يخاطـــب الفطرة البشرية بآيات الله الكونية المبثوثة حول الإنسان في هذا الكون والتي يعلم ســـبحانه أن فيها لغةً مفهومة وإيحاءات مسموعة ولذا لم يلجأ المنهج القرآني إلى الأسلوب الجـــدلي العقيم ، الذي جاء فيما بعد عند المتكلمين والفلاسفة ، لأن الله يعلم أن هذا الأســـلوب ، لا يصل إلى القلوب ولا يدفع إلى حركة ولا يؤدي إلى بناء حياة "[46] .

ومن الملاحظ أن القرآن الكريم ، يعرض مشاهد عديدة من الكون ، ملفتة للنظـــر تغري الإنسان المتدبر بأن يبحث عن تفسير لها وتشعره بأن هناك دلالة ونتيجـــة تكمـــن وراء هذه المظاهر ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في قوله عز وجـــل : " **إِنَّ فِـــي خَلْـــقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّـــاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُـــلِّ دَآبَّـــةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** " (البقـــرة ، آية : 164) .

ويلفت قطب انتباهنا إلى أن " المنهج القرآني يكثر من الربط بين عبوديـــة هـــذا الكون لله ودعوة البشر إلى الاتساق مع الكون الذي يعيشون فيه والإسلام لله الذي أسلم له الكون والذي يتحرك مسخراً بأمره ، ذلك أن هذا الإيقاع بهذه الحقيقة الكونية ، كفيل بـــأن يهز القلب البشري هزّاً وأن يستحثه من داخله ، علـــى أن ينخـــرط فـــي ســـلك العبـــادة المستسلمة فلا يكون وحده نشازاً في نظام الوجود كله "[47] .

ومن الشواهد على هذا الربط بين عبودية الكون لله ودعوة الإنسان إلى التماثـــل معها والسير في فلكها ، ما جاء في قوله تعالى : " **الـــرَّحْمَنُ * عَلَّـــمَ الْقُـــرْآنَ * خَلَـــقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ * الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ**" (الرحمن، الآيات : 1–6) وفي موضع آخر من كتاب الله الحكيم ، تصويرٌ رائع للجبل الخاشـــع لله عز وجل " **لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّـــهِ وَتِلْـــكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** " (الحشر ، آية : 21) .

ج) تنظيم دوافع الفطرة وعدم محاربتها

ولد الإنسان مزوداً بدوافع تمثل " القوى المحركة التي تبعث النشاط في الكائن الحي وتبدئ السلوك وتوجهه نحو هدف أو أهداف معينة والدوافع تؤدي وظائف ضرورية وهامة للكائن الحي ، فهي التي تدفعه إلى القيام بإشباع حاجاته الأساسية الضرورية لحياته وبقائه كما تدفعه إلى القيام بكثير من الأفعال الأخرى الهامة والمفيدة له في توافقه "[48] .

وقد أشار قطب إلى أن " الإسلام لا يحارب دوافع الفطرة ولا يستقذرها ، إنما ينظمها ويطهرها ويرفعها عن المستوى الحيواني ويرقيها حتى تصبح المحور الذي يدور عليه الكثير من الآداب النفسية والاجتماعية "[49] وعلى سبيل المثال فإن الإسلام لم يكبت الغريزة الجنسية كما فعلت المسيحية وإنما عمل على ضبطها والفارق الأساس بين الكبت والضبط يكمن في" أن الأول عملية ضارة وأما الثاني فعملية واعية ، فعملية الضبط لا تتعرض للشهوة في منبتها قبل أن تظهر في الشعور كما يصنع الكبت ، لأن ذلك يحبس النشاط الحيوي عن منطقه الطبيعي ، فالضبط يتولى عمله بعد أن تخرج الشهوة من ظلمات اللاشعور إلى الشعور وتكون مهمته أن ينظم مسارها وينظفها ويتحكم في القدر الذي يصرح به منها "[50] .

ويعمل المنهج الإسلامي على تنظيم الدوافع وتوجيهها بما يحقق مصلحة الفرد والجماعة ، من خلال توجيه الإنسان إلى إشباعها عن طريق الحلال المسموح به شرعاً كاللجوء إلى الزواج لإشباع الدافع الجنسي بدلاً من اقتراف الزنا ، كما يؤكد الإسلام على تنظيم إشباع الدوافع بأسلوب معتدل بعيداً عن الإسراف[51] .

د) اعتماد أسلوب التربية بالعمل والممارسة والتجريب

التربية الإسلامية في طبيعتها تربية عملية ، تتحول بها الكلمة إلى عمل إيجابي وسلوك فاضل وقد حث الإسلام على الإيمان المقترن بالعمل الصالح ورغّب فيه " **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً** " (الكهف ، آية : 107) .

ويؤكد قطب على أن منهج التربية في الإسلام ، منهج واقعي عملي ، لا منهج نظري معرفي ، مهمته بناء نظرية وعرضها لذاتها[52] .

ويقدم قطب تفسيراً تربوياً ونفسياً لطبيعة هذا المنهج في التربية بقوله : " فقد علم الله أن هذه الخليقة البشرية ، لا تصاغ صياغة سليمة ولا تنضج نضجاً صحيحاً ولا تصح وتستقيم على منهج ، إلا بذاك النوع من التربية التجريبية الواقعية ، التي تحفر في القلوب وتنقش في الأعصاب وتأخذ من النفـوس وتعطـي، فـي معتـرك الحيـاة ومصـطرع الأحداث"(53).

ويكتسب أسلوب التربية بالممارسة والعمل أهميته من خلال كونه :

1- يؤدي إلى زيادة فهم التلاميذ لما تعلموه .
2- يحد من الملل الذي يصاب به التلاميذ من كثرة الدراسات النظرية داخل الفصول(54).
3- ممارسة الشيء وتطبيقه ، عامل قوي في حفظ المعلومة وصيانتها من النسـيان مـا أمكن(54) .

ومن الملحوظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم – في تربيته لأصحابه رضـوان الله عليهم – كان يقرن بين العلم والعمل وقد جاء في الحديث الشريف الذي رواه أبو عبـد الرحمن السلمي قال : " حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم، أنهم كانوا يقترئون من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات ، فـلا يأخـذون في العشر الأخرى ، حتى يعلموا ما في هذه من العلـم والعمـل قـالوا : فعلمنـا العلـم والعمل"(56).

وقد حذر بعض علماء التربية المسلمين ، من الاستظهار الأعمى والحفظ الأصـم للعلوم بلا تحليل وتطبيق ومن هؤلاء ابن الجوزي الذي أكد على التطبيق العملي والجمـع بين العلم والعمل(57) .

ويذهب قطب إلى أن " الاتجاه التجريبي الذي قامت عليه الحضـارة الصـناعية الأوروبية الحاضرة ، لم ينشأ ابتداءً في أوروبا وإنما نشأ في الجامعـات الإسـلامية فـي الأندلس والمشرق ، مستمداً أصوله من التصور الإسلامي وتوجيهاته إلى الكون وطبيعتـه الواقعية ، ثم استقلت النهضة العلمية في أوروبا بهذا المنهج واستمرت تنميـه وترقّيـه ، بينما ركد وترك نهائياً في العالم الإسلامي ، بسبب بعده تدريجياً عن الإسلام "(58) .

ولم يُخفِ قطب إعجابه بطريقة المشروع المستخدمة في التعلـيم الغربـي ورأى أنها يمكن أن تخرج بثروة علمية متنوعة ، فضلاً عن كونها دراسة عملية لا تختلف كثيراً عن واقع الحياة وقد أوصى بتعديل الخطط والكتب المدرسية في مصر ، بحيث تبتعـد – قدر المستطاع – عن قاعدة الفصل بين المدرسة والحياة[59] .

هـ) توجيه المسلمين إلى الانفتاح على الخبرات النافعة

دعا القرآن الكريم المسلمين ، إلى الانفتاح على التجـارب والخبـرات النافعـة والاستفادة منها في تعديل سلوكهم وتطوير حياتهم ، من خلال النظر في أحـوال الأمـم السابقة كما جاء في قوله تعالى : " **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ من قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَـاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ** " (البقرة ، آية : 214) .

وجاء في التوجيه النبوي الشريف " الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ، حيث وجـدها فهو أحق بها "[60] .

وأشار قطب إلى اهتمام المنهج التربوي الإسلامي بتوجيه المسلمين إلى الانتفـاع بخبرات وتجارب الآخرين ممن قبلهم وذلك من خلال قوله : " هكذا خاطب الله الجماعـة المسلمة الأولى وهكـذا وجهها إلى تجارب الجماعات المؤمنة قبلها وإلى سـنته سـبحانه وتعالى في تربية عباده المختارين، الذين ينقل إلـيهم رايتـه وينـوط بهـم أمانتـه فـي الأرض"[61].

وما من شك في أن تجارب الآخرين القديمة ، تعد مـن قبيـل الخبـرات غيـر المباشرة ، التي يمكن أن تحقق درجة من التواصل الثقافي بين الأجيال ، في حين يـوفر أسلوب التربية بالممارسة والعمل الذي سبق الإشارة إليه خبرات غير مباشـرة ، وبـذلك يوازن المنهج الإسلامي بين هذين النوعين من الخبرات مما يعني أنه يقدم محتوىً تربوياً ثرياً ومتنوعاً .

و) التدرج في معالجة السلوكات المنحرفة

يشير قطب إلى " منهج القرآن العجيب وهو يأخذ بيد الفطرة الإنسـانية خطـوة خطوة ومرحلة مرحلة ويصعد بها – في هينة ورفق وفي حيوية كـذلك وحـرارة وفـي

وضوح وعلى بصيرة – درجات السلم في المرتقى الصاعد إلى القمة السامقة في المعرفة والرؤية وفي الانفعال والاستجابة وفي التكيف والاستقامة "[62] .

ويوضح قطب لنا القاعدة ، التي يقوم عليها مبدأ التدرج فـــي المـــنهج التربـــوي الإسلامي، فحينما يتعلق الأمر أو النهي بقاعدة من قواعد التصور الإيماني ، فإن الإســـلام يقضي فيها قضاءً حاسماً منذ اللحظة الأولى ولكن عندما ينطلق الأمر أو النهي بعـــادة أو تقليد أو بوضع اجتماعي معقد ، فإن الإسلام يتريث ويأخذ المسألة باليسر والرفق والتدرج ويهيئ الظروف الواقعية التي تيسر الطاعة والتنفيذ[63] .

ويضرب قطب مثالاً على استخدام التدرج ، في معالجة العادات السيئة المألوفة ، حيث بدأ القرآن بتحريك الوجدان الديني والمنطق التشريعي في نفوس المســـلمين ، بـــأن الإثم في الخمر والميسر أكبر من النفع ، ثم كانت الخطوة الثانية بالنهي عن الدخول فـــي الصلاة حالة السكر ، إذ من المعروف أن المدمن يشعر بالحاجة إلى ما أدمن عليـــه مـــن مسكر أو مخدر في الموعد الذي اعتاد تناوله فيه ، فإذا تجـــاوز هـــذا الوقـــت بصـــورة متكررة، فترت هذه العادة وأمكن التغلب عليها ، حتى إذا تمت هاتان الخطوتـــان ، جـــاء النهي الجازم والأخير بتحريم الخمر[64] .

رابعاً : مفهوم الطبيعة الإنسانية عند سيد قطب

ما من شك في أن معرفتنا لطبيعة الإنسان وحقيقته ووعينا بخصائصه الفطرية ، يساعدنا على التعامل معه بموضوعية وكفاءة ومن ثم يفتح الطريق أمام إطـــلاق طاقاتـــه وتوجيهها، نحو بناء المجتمع القوي وقد شغل موضوع الطبيعة الإنسانية على مر التاريخ، مساحة واسعة من اهتمام الفلاسفة والتربويين ، فجاءت آراؤهم متباينة وكان لسيد قطب

اجتهاد وتصور خاص في هذا الموضوع يمكن تلخيصه فيما يلي :

أ) الفطرة الإنسانية مؤمنة في أصلها

يُسلم قطب بأن " الفطرة البشرية في اصلها متناسقة مع ناموس الكون ، مســـلمة لربها إسلام كل شيء حي "[65]، وعبر عن هذا المضمون قوله تعـــالى : " **فَـــأَقِمْ وَجْهَـــكَ**

لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِـنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ " (الروم ، آية : 30) .

ويعتبر قطب " الدين حاجة فطرية في النفس البشرية ، كحاجة الطعام والشـراب لحفظ الذات وحاجة النسل لحفظ النوع سواء "[66] .

فليس الطعام والشراب والمسكن والجنس ، هي كل مطالب الإنسان الأساسـية ، فهناك مطالب الروح وحرية الفكر والعقيدة وهي مطالب أساسية ، بل هـي أعلـى فـي الاعتبار من مطالب الطعام والشراب والجنس ، لأنها هي المطالب الزائدة فـي الإنسـان على الحيوان وهي التي تعزز إنسانيته وبإهدارها تهدر إنسانيته[67] .

وهكذا تتميز نظرة قطب إلى حاجات الإنسان ، عن كثير من نظريات علم النفس المعاصرة ، التي تحدثت عن حاجات عديدة للإنسان ، كالحاجة إلـى الطمأنينـة والحـب المتبادل والحاجة إلى النجاح ، في حين أغفلت الحاجة إلى العقيدة والتدّين[68] .

ويؤكد قطب على مرونة الطبيعة الإنسانية وقابليتها للتشـكيل والتعـديل ويقـدم تفسيراً منطقياً لذلك ، بقوله : " إن البشرية تبدأ طريقها مهتدية مؤمنة موحّدة ، ثم تنحرف إلى جاهلية ضالة بكل العوامل المتشابكة المعقدة في تركيب الإنسان ذاته وفـي العوامـل والعناصر التي تتعامل معها "[69] وعبر عن هذا المفهوم ما جاء فـي الحـديث القدسـي " وإنّي خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً "[70] .

ب) ازدواجية الطبيعة الإنسانية

ينظر قطب إلى الطبيعة الإنسانية ، على أنها مزدوجة من حيث كـون الإنسـان خلق من عناصر الطين اللزج المتحول إلى صلصال ثم من النفخة العلوية التي فرّقت بينه وبين سائر الأحياء ومنحته خصائصه الإنسانية ولا انفصال بين هـذين العنصـرين فـي تكوين الإنسان[71] .

وبناءً على هذه التركيبة ، يدرك المنهج الإسلامي ضعف المخلوق البشري الـذي تهبط به ثقلة الجسد أحياناً إلى درك الفاحشة وتهيج به فورة اللحـم والـدم فينـزو نـزوة

الحيوان في حمى الشهوة وتدفعه نزواته وشهواته ورغباته إلى المخالفة عن أمر الله فـــي حمى الاندفاع ، فالإسلام يدرك ضعفه فلا يقسو عليه ولا يبادر إلى طرده من رحمة الله ، فهو يعلم أن فيه بجانب الضعف قوة وبجانب الثقلة رفرفة وأشواق ربانية ، فهـــو يعطـــف عليه في لحظة الضعف ويأخذ بيده إلى الصعود ويربت عليه في لحظة العثرة[72] .

ومن قبيل الازدواجية في الكائن البشري ، أنه مزود باستعدادات متساوية للخيـــر والشر والهدى والضلال ، بحكم تكوينه من طين الأرض ونفخة الله فيه من روحه وهـــو مع ذلك قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر[73] وتتفق هذه النظرة ، مع ما ذهب إليه (الغزالي) الذي أكّد على أن الطبيعة الإنسانية فيها فطرة طيبة تهفو إلى الخير وتُســـر بإدراكه وتأسى للشر وتحزن من ارتكابه وترى في الحق امتداد وجودها وصحة حياتهـــا وفيها إلى جوار ذلك ، نزعات تشرد بها عن سواء السبيل وتزين لها فعل ما يعود عليهـــا بالضرر[74] .

كما تختلف هذه النظرة الإيجابية إلى الطبيعة الإنســـانية ، عـــن نظـــرة بعـــض الفلسفات والمدارس الفكرية ، التي تعتبر الإنسان محاطاً بالخطيئة منذ قدومـــه إلـــى هـــذا العالم[75] .

ويتحدد اتجاه الإنسان نحو الخير أو الشر – كما يرى قطب – بناءً علـــى مـــدى استثماره للقوة الواعية المدركة في داخله والتي تناط بها التبعة ، فإن استخدم هذه القوة في تزكية نفسه وتطهيرها وتنمية استعداد الخير فيها وتغليبه فقد خاب[76] وهذا ما ينسجم مـــع التوجيه القرآني " **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** " (الشمس، الآيتان: 9، 10).

ج) أسباب فساد الفطرة وانحرافها

يتحدث قطب عن فساد الفطرة وانحرافها ويعلل ذلك بخروج الإنسان بنظام حياته عن قاموس الكون وخواء حياته من منهاج الله الذي ينسق حركة الإنسان والكون الذي يعيش فيه ومن ثمّ يعاني من خواء الروح والشقاء والاضطراب[77] .

ومن الأسباب المسئولة عن فساد الفطرة الإنسانية ، الخوض في المتاع طويلاً والترف الذي يفسد القلب ويبلد الحس وينتهي إلى ضعف الحساسية بالله وانطماس البصيرة[78] .

وتلعب الجاهلية دوراً كبيراً في إفساد الفطرة الإنسانية ، لكونها تمسخ أذواق الناس وتصوراتهم وموازينهم وتعريهم من التقوى والحياء ، إذ تجعل العُري الحيواني تقدماً ورقياً والستر الإنساني تأخراً ورجعية وليس بعد ذلك مسخٌ لفطرة الإنسان وخصائصه[79] .

ولكون الإنسان – بطبعه – شديد الحب للمال والمتاع وأغراض الحياة الدنيا ، فإنه لا ينصلح حاله ما لم يخالط الإيمان قلبه فيغير من تصوراته وقيمه واهتماماته ويحيل كنوده وجحوده اعترافاً بفضل الله ويريه القيم الحقيقية التي تستحق الحرص والتنافس والكدح ، فالإنسان بغير إيمان يبقى صغير المطامع صغير الاهتمامات مرتكساً في حمأة الأرض ، سجيناً في سجن الذات ، لا يرفعه إلا الاتصال بعالم أكبر من الأرض وأبعد من حياة الدنيا ، عالم يعود إلى الله الأبدي وتتصل فيه الدنيا والآخرة بلا انتهاء[80] .

وجاء في التوجيه النبوي الشريف ، إشارة واضحة إلى أثر الإيمان الكبير في استقامة الإنسان والحفاظ على الفطرة من الانحراف حيث روي "عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال : قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسال عنه أحداً بعدك قال : قل آمنت بالله ثم استقم"[81] .

وفي ضوء ما سبق ينبغي أن تنطلق العملية التربوية في مدارس المسلمين من عقيدة الإيمان باعتبارها الأساس الأول في تربية الفرد والحفاظ على فطرته سليمة نقية في ظل عالم يموج بالأفكار والأيديولوجيات المنحرفة عن منهاج الله عز وجل .

خامساً : القيم كما يتصورها سيد قطب

تواجه المجتمعات البشرية على المستويين – الإقليمي والعالمي – خطراً أكبر من الأسلحة الذرية والنووية ، إنه خطر الزلازل الجارية في ميادين القيم وسوف يشهد القرن القادم اختفاء ثقافات وذوبان مجتمعات من خلال عمليات الانصهار والتحليـل والتركيـب الجارية في ميدان القيم[82] .

ويؤكد العديد من الباحثين ، أن مشكلة تبلور الشخصية ، ترتبط إلـى حـدٍ بعيـد بثقافة كل شعب والقيم التي يحملها ومفهومه عن المحرمات ونظرته إلى ما هو رفيع وإلى ما هو دنيء وهذه المجموعة من المواقف ، تشكل قيم كل شعبٍ ولهـا احتـرام وقدسـية عنده[83] .

وتلعب القيم دوراً كبيراً ، في توجيه سلوك الفرد واتجاهاته فيما يتصل بمـا هـو مرغوب فيه أو مرغوب عنه من أشكال السلوك ، في ضوء ما تتضمنه القيم من قواعـد ومعايير[84] كما أن التربية في حقيقتها عبارة عن " نسق من القيم ، يسـهم فـي تشـكيل شخصية الفرد وضميره والوازع الداخلي الذي يضبط سلوكه "[85] .

وتعرف القيم من منظور إسلامي بأنها " مفهوم يدل على مجموعة من المعـايير والأحكام تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية ، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته ، يراها جديرة بتوظيف إمكانياته وتتجسد من خلال السلوك العملي أو اللفظي بطريقة مباشرة وغير مباشرة "[86] ، وقد أولى قطـب اهتماماً بالغاً بموضوع القيم وعالجها بدقة وعمق في مواضع عديدة من تفسـيره ويمكـن إجمال تصوره للقيم من خلال الجوانب الآتية :

أ) تصنيف القيم

يوجه قطب المسلمين ، إلى أن يستمدوا قيمهم وموازينهم في حياتهم الـدنيا مـن المصدر الرباني ، حتى لا تكون مقيّدة بملابسات أرضهم ولا بمواصفات حياتهم ولا نابعة من تصوراتهم المقيّدة بهذه المواصفات[87] .

وبناءً عليه يصنف قطب القيم – من حيث المصدر – إلـى قـيم السـماء وقـيم الأرض والتي منها قيم الجاه والعشيرة والثراء وغيرهـا مـن القـيم التـي تعتـز بهـا

الجاهلية[88]، وبذلك ينفرد قطب بهذا التصنيف للقيم ، والذي لم نعهـده فـي التصـنيفات الإسلامية المعاصرة .

وأما من حيث المجال ، فإن سيد قطب يصنف القيم ، إلى قيم إيمانية وقيم ماديـة ويؤكد على العلاقة الارتباطية بينهما ، فالقيم الإيمانية ليست منفصلة عن القـيم الماديـة العملية في حياة الناس ، فكلتاهما تؤثران في هذه الحياة ، سواءٌ عن طريق قدر الله الغيبي المتعلق بعالم الأسباب أو عن طريق الآثار العملية المشهودة ، التي يمكن للبشـر رؤيتهـا وضبطها[89] .

فالمجتمع الرباني لا يحتقر القيم المادية ، لكون المادة من مقومات خلافة الإنسان في الأرض والاستمتاع بها وفي الوقت نفسه ، لا يقبل بأن تهدر في سبيلها كرامة الإنسان ومقوماته ، كما هو الحال في المجتمعات الملحدة أو المشركة[90] .

ويضع قطب معياراً للحكم على المجتمعات من حيث التحضر والتخلف ، إذ يرى أن المجتمع الذي تسود فيه القيم الإيمانية الإنسانية – كما هـي فـي ميـزان الله – فهـو المجتمع المتحضر المتقدم وأما المجتمع الذي تسود فيه النزعات والقيم المادية الحيوانيـة فهو المجتمع المتخلف ، مهما بلغ من تقدمٍ في المجال العلمي والاقتصادي[91] .

ويحذر قطب من الوقوع في العبودية للقيم المادية ويرى أن التحرر مـن ذلـك، يكون من خلال وضع هذه القيم في موضعها الحقيقي بلا إغفـال ولا مغـالاة ورد القـيم المادية إلى اعتبارات معنوية ذاتية ، كامنة في نفس الفرد ، ممـا يضـعف تـأثير القـيم المادية[92] .

وأما بخصوص القيم من حيث أهميتها وترتيبها ، فإن قطب يؤكد أن أعلى قيمـة في هذا الكون، هي قيمة الإيمان ومن حاز هذه القيمة فله الخير كله ومـن فقـدها فلـيس بنافعه شيء[93] .

فالإيمان يمثل القيمة الحقيقية الباقية وأما القيم المادية – المال والمتاع واللذائـذ – فهي قيم زائفة زائلة ، لا يحرم الطيب منها ولا يصح أن تكون غاية لحيـاة الإنسـان[94] ويعطي قطب تفسيراً موضوعياً لهذا الترتيب القيمي بقوله : إن قيم الإيمان وقيم الفضـائل

والصلاح والإخلاص ، لهي قيمٌ يقوم عليها استخلاف الإنسان في الأرض وهـي أعلـى وأكرم من جميع القيم المادية ، كما أنها تنمي في الإنسان خصائصه الإنسانية ، التي ينفرد بها عن الحيوان[95] وبالتالي على الإنسان أن يُعلي هذه القيم مع تحقيقه القـيم الماديـة ، بحيث لا تطغى على القيم العليا ، وينتقد قطب المذاهب المادية التي تستهزئ بكـل القـيم الروحية والأدبية في سبيل إعلاء القيم المادية[96] ، وبذلك تبدو نظرة قطب للقيم ، معتدلـة متوازنة إذا ما روعيت في تربيتنا ، نتج عنها توازن في شخصية الفرد والمجتمـع ومـن الملاحظ أن القرآن الكريم ، يحذر من الافتتان بالقيم المادية ويلفت الانتباه إلـى ضـرورة تقدم القيم الإيمانية عليها ويعتبر مخالفة ذلك فسقاً يستوجب العقاب " **قُلْ إِن كَـانَ آبَـاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَـوْنَ كَسَـادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** " (التوبة، آية:24).

من خلال ما سبق ، يمكن القول أن ترتيب السلم القيمي عند قطب ، يتفـق مـع بعض التصنيفات الإسلامية للقيم والتي جعلت القيم الإيمانية على رأس السلم القيمي ومنها على سبيل المثال ، تصنيف الهاشمي وعبد السلام[97] وكذلك تصنيف أبو العينـين للقـيم حيث جعل القيم الروحية (العقدية) المنظمة لعلاقة الإنسان بالله على رأس السـلم القيمـي الذي صنفه إلى سبعة مجالات[98] في حين وضع رمزي القيم المادية فـي بدايـة السـلم القيمي في تصنيفه الثلاثي من منطلق أن القيم لا تفاضل بينها لأنها نتائج يقصدها الإنسان حين القيام بالعمل ، فلا توضع في ميزان واحد ولا تقاس بمقياس واحد[99] .

ب) القيم التي يُقاس بها الناس

يلفت قطب الانتباه ، إلى أن الميزان الذي أنزله الله للناس مع الرسل ، ليقوموا به القيم كلها ، هو التقوى فهي القيمة الوحيدة التي يرجح بها وزن الناس وهي قيمة سـماوية بحتة، لا علاقة لها بمواصفات الأرض وملابساتها[100] ، وينسجم ذلك مع قوله تعـالى : " **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** " (الحجرات ، آية : 13) .

وينتقد قطب اهتمام الناس الزائد بقيم الحياة المادية كالمال والبنين والتي يتعبدون بها في الأرض ويَزِنُونْ بها الناس وفي المقابل يذرون القيم الحقيقية التي يفترض أن يوزن الناس على أساسها وهي الصالحات من الأعمال والأقوال والعبادات[101] .

كما يستنكر قطب سلوك الناس الذين يقيِّمون الآخرين بناءً على القيم المادية الظاهرة التي يرونها في أنفسهم ، فيسخر الرجل الغني من الرجل الفقير والقوي من الضعيف وذو الأولاد من العقيم وتسخر الجميلة من القبيحة وهذه جميعاً مقاييس فاسدة ليس لها اعتبار في ميزان الله عز وجل[102] ، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الاغترار بالمظهر العام وبين أن الله عز وجل لا يقيس الناس بمظاهرهم وأشكالهم وإنما يقيسهم بناءً على قلوبهم وأعمالهم " إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم "[103] .

وحينما يعم الفساد وتضطرب الموازين ، ينصح قطب بالرجوع إلى تصور ثابت لميزان القيم ، يستند إلى قاعدة أخرى غير التي اصطلح عليها في جيل من الأجيال ، ألا وهي قاعدة الإيمان بالله ، التي ينبثق منها الميزان الصحيح[104] .

ج) القيم بين الثبات والتغير

يناقش قطب موضوع القيم ، من حيث الثبات والتغير ويعتقد بأن القيم الإيمانية والإنسانية والأخلاقية ، قيم ثابتة وليست متغيرة لا تستقر على حال ، كما يزعم الذين يريدون إشاعة الفوضى في الموازين ، بحيث لا يبقى هناك أصل ثابت يُرجع إليه في وزن أو تقييم ويرى أن هذه القيم الثابتة ، هي التي تنمي في الإنسان خصائصه التي ينفرد بها عن الحيوان[105] .

وأما القيم المتغيرة فهي القيم المادية المرتبطة بمتاع الحياة الدنيا محدودة الأجل والتي سرعان ما تزول وتفنى[106] .

ومن الطبيعي أن يكون في حياة المسلمين ، قيم مطلقة ثابتة وقيم أخرى نسبية متغيرة، فالقيم الروحية والخلقية التي مصدرها وحي الله وشرعه ، قيم مطلقة وثابتة في كل زمان ومكان لا تتغير ولا تتبدل كالتوحيد والصدق والعفو والعفة وبر الوالدين

والإحسان إلى الجار وأما القيم المتغيرة ، فهي قيم اجتماعية يصدرها المجتمــع وتكــون أقرب إلى الاتجاهات والعادات والأعراف منها إلى القيم وبالتالي تخضع للتغيير حسب ما يراه المجتمع(107) .

ومهما يكن فإن القيم المادية ، ليست منفصلة عن القيم المعنويــة (الإيمانيــة) ولا ينبغي أن تتعارض معها من منطلق أن الأولى مقاصد وغايات والأخرى وسائل .

سادساً : نظرة سيد قطب للتغير الاجتماعي والثقافي

من البديهي أن التغير سنة كونية وهو أمر واقع وظاهرة عيانية موجودة في كــل المستويات ابتداءً من المادة الحسية وانتهاءً بالحياة الاجتماعية والنفسية أو عــالم الأفكــار عامة وقد رأى كثير من العلماء أن الإيمان نفسه يزيد وينقص وأن النفس ، تتقلــب بــين التزكية والتدسية وأن التحول الفكري يقود إلى التغير في السلوك والاستجابة(108) .

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن نفسه ، بأنه لا ينفك عن إحداث الجديد في هــذا الكون " **كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ** " (الرحمن ، آية : 29) .

ويسلم قطب بأن الفطرة الإنسانية ، فطرت على حب التغيير والتبديل والانتقال من حال إلى حال ومن مكان إلى مكان ومن نظام إلى نظام وبذلك يندفع الإنسان نحو تغييــر واقع الحياة ويكشف عن مجاهيل الأرض ويبدع في نظم المجتمع وأشكال المــادة وبــذلك تتطور الحياة وترتقي وهذا ما يتناسب مع موقع الإنسان كخليفة علــى الأرض وطبيعــة دوره فيها ، الذي يستدعي تحوير الحياة وتطويرها حتى تبلغ الكمال(109) .

وبناءً عليه فإن " مهمة الإسلام دائماً ، أن يدفع بالحياة إلــى التمييــز والتطــور والرقي وأن يدفع بالطاقات البشرية إلى الإنشاء والانطلاق والارتفاع "(109) .

مفهوم التغير الاجتماعي والثقافي

يقصد بالتغير " التبدل من حال إلى حالٍ غير الأولى وهو بذلك حركة قد تكــون إلى الخير وقد تكون إلى الشر "(111) .

ويمكن تعريف التغير الاجتماعي والثقافي بأنه عبارة عن " إحداث تحولات على بنية ووظائف الأنظمة الاجتماعية والثقافية بدون إصدار أي أحكام قيمية عليها " .

فالتغير الاجتماعي تحولات تحدث في النظام الاجتماعي ، أي في بناء ووظائف المجتمع المتعددة والمختلفة ، بينما يحدث التغير الثقافي في كل فروع الثقافة – المعرفة والمعتقدات والقيم والأخلاق والفني والعرف والعادات التي حصل عليها الإنسان لكونه في مجتمع[112] وأيّاً كان الأمر فإنه ليس بالإمكان ، الفصل بين عناصر التغير الاجتماعي والثقافي ، فإذا ما حدث تغيرٌ في واحد منهما ، استدعى ذلك – غالباً – تغييراً في الآخر .

وقد أولى قطب اهتماماً كبيراً بموضوع التغير ، من حيث مقاصده والمبادئ التي يقوم عليها ووسائله ويمكن بيان ذلك على النحو التالي :

أ) مقاصد التغيير

يتحدث قطب بصورة مستفيضة عن الواقع الجاهلي الذي تعيشه البشرية اليوم والذي يظهر فيه التدهور الخلقي والانحلال الاجتماعي وتتآكل في ظله إنسانية الإنسان وتتحلل آدميته وهو يلهث وراء الحيوان ليلحق بعالمه الهابط[113] .

وقد تغلغلت الجاهلية في التقاليد والعادات والأخلاق والعلاقات ، فهي نظام حياة مناقض للنظام الإسلامي وواقع متخلف[114] .

فالجاهلية –كما يراها قطب– عبارة عن " كل منهج تتمثل فيه عبودية البشر للبشر "[115].

وقد عبر عن هذا الواقع السلبي في حياة المسلمين الاجتماعية والثقافية ، ما جاء في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام حينما أخر أصحابه قائلاً لهم : " خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم إن بعدهم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السُمن "[116] .

وفي ضوء ما سبق ، يحدد قطب الهدف من التغيير الذي ينشده بقوله : " إن مهمتنا الأولى هي تغيير هذا الواقع الجاهلي من أساسه ، هذا الواقع الذي يصطدم

اصطداماً أساسياً بالمنهج الإسلامي وبالتصور الإسلامي والذي يحرمنا بالقهر والضـــغط ، أن نعيش كما يريد لنا المنهج الإلهي "[117] .

فالتغيير الذي ينشده قطب ، يستهدف استبدال وجه العالم الحالي بعالم آخر ، يُقـــر فيه سلطان الله وحده ويُبطل سلطان الطواغيت ، إنه العالم الذي يولد فيه الإنســـان الحـــر الكريم ، المتحرر من العبودية لغير الله[118] .

وينتقد قطب بعض المفكرين ، الذين يتصورون أن الواقع الجاهلي هـــو الأصـــل الذي يجب على دين الله ، أن يطابق نفسه عليه وأن يغير في أحكامه، حتى يصبح مقبـــولاً لدى الآخرين[119].

ويرى قطب أن تحقيق هذا الهدف ، لا يكون بمجاراة الجاهليـــة والســـير معهـــا خطوات في أول الطريق ، كما أنه لن يكون بمقاطعتها والانعزال عنها وإنما يكـــون مـــن خلال المخالطة مع التمييز والأخذ والعطاء مع الترفع والصدع بالحق في مودة والاستعلاء بالإيمان في تواضع[120].

ويتضح مما سبق ، أن التغير الذي يتطلع إليه قطب ، هو تغير شـــامل يســـتهدف الأصول والفروع ويأتي على جميع مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية ، كمـــا يتبـــين أن منهج قطب في التغيير ، قائم على الاعتدال والتـــوازن بعيـــداً عـــن التعصـــب الأعمـــى والانغلاق السلبي، على الرغم من إقراره بفساد الواقع الجاهلي واصطدامه مع دين الله .

ب) المبادئ التي يقوم عليها التغيير

هناك جملة من المبادئ ، التي ارتأى قطب ضرورة مراعاتها في عملية التغييـــر المنشودة وهي تنسجم مع طبيعة المنهج الإسلامي ، ويمكن تلخيص أبرزها فيما يلي :

1- الاستبقاء على عناصر ثابتة

فهناك سنن للحياة ثابتة ، تتحرك الحياة في مجالها ولكنها لا تخرج عن إطارهـــا والذين تشغلهم الظواهر المتغيرة عن تدبر الحقائق الثابتة ، لا يفطنون لهذا القانون الإلهي الذي يجمع بين الثبات والتغير في صلب الحياة ومن ثم ، فإن التطور المستمر لا يمنع أن

تكون هناك قواعد ثابتة ، فالثبات والتغير متلازمان في كل زاوية من زوايا الكون وفـــي كل جانب من جوانب الحياة(121) .

ومن الطبيعي في ضوء الإيمان بالقيم الثابتة المطلقة ، أن يكون هنـــاك عناصـــر ثابتة في الحياة لا تتغير ، ذلك أن تغييرها يعني الانحراف عن منهاج الله وما من شك في أن المجتمع الإسلامي ، في حاجة إلى التغير والثبات في آن واحد ، فـــالتغير ضـــروري لمواكبة روح العصر المتجدد وتمكين الإنسان من التكيف معه وأما الثبات فهو الذي يحفظ على المجتمع تماسكه وهويته واستقراره .

2- التغيير عملية إنسانية تربوية

ينتقد قطب تلك السلبية الذليلة ، التي تفرضها المذاهب المادية علـــى الإنســـان ، فتجعل منه عنصراً سلبياً إزاء الحتميات الجبارة ، حتمية الاقتصاد وحتمية التاريخ وحتمية التطور ، إلى آخر الحتميات التي ليس للكائن الإنساني إزاءها حول ولا قوة(122) .

وقد أكّد القرآن الكريم ، على إرادة الإنسان ودوره في عملية التغيير سواءً كـــان ذلك في الاتجاه الإيجابي أو السلبي ، ويتضح ذلك من خلال قوله عز وجل : " **ذَلِكَ بِـأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَـمِيعٌ عَلِـيمٌ**" (الأنفال، آية:53). ويعقب قطب على الآية قائلاً : " إن من عدل الله في معاملة العبـــاد ، أنه لا يسلبهم نعمة وهبهم إياها ، إلا بعد أن يغيروا نواياهم ويبـــدلوا ســـلوكهم ويقلبـــوا أوضاعهم ويستحقوا أن يغير ما بهم مما أعطاهم إياه . للابتلاء والاختبار من النعمة التي لم يشكروها ومن الجانب الآخر، يكرم هذا المخلوق الإنساني ، حين يجعل قدر الله به ينفذ ويجري عن طريق حركة هذا الإنسان وعمله ويجعل التغيير القدري في حيـــاة النـــاس ، مبنياً على التغيير الواقعي في قلوبهم ونوايـــاهم وســـلوكهم وعملهـــم وأوضـــاعهم التـــي يختارونها لأنفسهم ومن هذا الجانب ، تتبين فاعلية الإنسان في مصير نفسه وفي مصـــير الأحداث من حوله "(123) .

ويشير (حسنه) إلى أن " اكتشاف دور الإنسان وفاعليته في منهج التغيير بدرجـــة كافية وحسم هذه القضية ، أصبح من الضرورات الملحة للعقل المسلم ، ذلـــك أن العقيـــدة

الإسلامية ، جعلت الإنسان مدار الحركة التغييرية ومحورها وأوكلت إليه مهمـــة التغييـــر والبناء وكلّفته بتحقيق الخلافة على هذه الأرض "[124] .

ولئن كان التغيير مسئولية الإنسان كفرد ، إلا أنه كذلك سنة جماعية ، وقد عبـــر عن ذلك قوله تعالى : " **إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّـــرُواْ مَـــا بِأَنْفُسِـــهِمْ** " (الرعـــد، آية:110) .

فعلى الرغم من أن تغيير ما بالأنفس أساس تغييـــر المجتمـــع ، إلا أن الفرديـــة وحدها ليس لها حظٌ في التغيير الشامل ، الذي يقوم على العمل الجماعي ، ولـــيس علـــى أساس المجهودات الفردية غير المنسّقة والتي –أحياناً – ما تكون متضاربة ، ولا تـــؤدي إلى الغرض المطلوب[135].

ومن هنا جاءت دعوة قطب ، إلى تضافر الجهود والقـــوى والإرادات المخلصـــة وتعاونها جميعاً ، حتى يحدث التغيير المنشود ، فالفرد ما لم يفجر طاقته والمجتمع ما لـــم يستغل جميع أبنائه المخلصين ، فلن يستطيع أن يخرج من وضعه السيئ إلى وضع أكثـــر رقياً ، ذلك أن المجتمع الجاهلي لا يتحرك كأفراد وإنما يتحرك ككائن عضوي ومن ثم لا يمكن مواجهة هذا الكيان ، إلا في صورة تجمع ولاؤه بعضه لبعض وإلا وقعت الفتنة في الأرض وحل الفساد فيها وطغت الجاهلية على الإسلام وذلك أفسد الفساد[126] .

وحتى تؤتي عملية التغيير أكلها – بصورتها الفردية والجماعية – يؤكـــد قطـــب على ضرورة الانطلاق من التربية كعامل أساس في التغيير القائم على بصيرة ويضـــرب مثالاً لذلك، الفترة المكية التي كانت فترة تربية وإعداد لقومٍ في بيئة معينة وقد كـــان مـــن أبرز أهدافها ، تعويد الفرد العربي على الصبر على ما لا يصبر عليه عادةً ، من الضـــيم يقع على شخصه أو على من يلوذون به وتربيته كذلك على ضبط انفعالاته ، فـــلا ينـــدفع لأول مؤثر ولا يهيج لأول مهيّج وتربيته كذلك على أن يتبع مجتمعاً منظماً له قيادة يرجع إليها في كل أمر من أمور حياته ولا يتصرف إلا وفق ما تأمره وقد كان هذا ، هو حجـــر الأساس في إعداد شخصية العربي لإنشاء المجتمع المسلم[127] ولا يقف دور التربية فـــي عملية التغيير ، عند تهيئة الأفراد لقبوله والتعامل الواعي مع برنامجه وإنما يتعدى ذلـــك

الدور التوجيهي إلى دور تصحيحي ونقدي ، وقد أشار (الرشدان) إلى دور التربية الحيوي، في فترة التغيير والمتمثل في إعادة البناء والفحص المستمر للآراء والأفكار والمعتقدات والمؤسسات[128] .

3- مرحلية التغيير وتدرجه

يؤمن قطب بأن التغيير الناجح ، يقوم على أساس مراعاة التدرج ، فهو يبدأ بالفرد حين يغير ما بنفسه فيصبح داخله نظيفاً وقلبه صالحاً ويتبع ذلك تغيير الأسرة ثم المجتمع ، حينما يغير الناس من مشاعرهم وأعمالهم وواقع حياتهم فيغير الله ما بهم[129] .

4- المعصية من أسباب التغير للأسوأ

يشير قطب إلى أن المعصية ، لا يترتب عليها ذنب وعقاب في الآخرة فحسب وإنما يتعدى ذلك إلى كونها سبباً من أسباب هلاك الأمم وتغيير أحوال المجتمعات نحو الأسوأ وهذه سنة ماضية ، تصير إليها الأمم حين تفشو فيها الذنوب ، كذلك هي جانب من التفسير الإسلامي للتاريخ[130] .

وقد ساق القرآن الكريم مثلاً رائعاً ، يبرز من خلاله مواطن القوة والضعف في المجتمعات ويقدم تفسيراً لتبدل حالها من النعيم إلى الشقاء " **وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ** " (النحل ، آية : 112) .

ج) وسائل التغيير الاجتماعي والثقافي

عرض قطب لجملة من وسائل التغيير الشامل نحو الأفضل ، جميعها يقوم على أساس الإرادة الإنسانية والفعل البشري كما يسير وفق الإرادة الإلهية وتتلخص هذه الوسائل فيما يلي :

1- تصحيح العقيدة

الإسلام – بطبيعته – لا يبدأ التغيير من المنطلقات المادية والدوافع الأولية والاحتياجات الآنية ، فهي – مع أهميتها – تبقى تابعة للمنطلقات المعنوية ، التي تشكل القوام الأساس لإنسانية الإنسان ، لذلك يبدأ التغيير من ضبط المعتقدات ، من خلال ربطها

بخالقها وموجدها عز وجل ، مما يحقق الارتقاء الروحي ، الذي يقود القيم والسلوك فـــي الاتجاه الصحيح[131] .

ويؤكد قطب على أن التغيير ، يبدأ بتصحيح العقيدة واجتثاث التصور الاعتقـــادي الجاهلي من جذوره وبهذه الطريقة ، يستمر الناس على التغير الإيجابي فلا يعودون إلـــى سابق وضعهم بعد أن عرفوا إلههم الحق ، إذ بدون العقيدة لا ينجح مع الفطـــرة البشـــرية تهذيبٌ أو إصلاح[132] .

ويلحظ من خلال استقراء المرحلة المكية في الدعوة الإســـلامية ، أن الرســـول صلى الله عليه وسلم ، اهتم اهتماماً بالغاً ، بغرس وترسيخ أصول العقيدة الإســـلامية فـــي نفوس المسلمين الأوائل وقد استغرق ذلك ثلاثة عشر عامـــاً حتـــى أتـــت هـــذه التربيـــة ثمارها[133] .

2- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يؤكد قطب على أن التغيير لا يتحقق ، ما لم تُوجد جماعة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فمنهج الله في الأرض ، ليس وعظاً وإرشاداً وبياناً فقـــط ولكنه تحقيق للمعروف ونفي للمنكر من حياة البشر وصيانة تقاليد الجماعة ، من أن يعبث بها كل ذي هوى وهذا التكليف ليس بالهيّن ولا البسيط ولا تفلح الأمة حتى يســـود الخيـــر فيها ويكون المعروف معروفاً والمنكر منكراً[134] .

ويكتسب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قيمته التربوية ، من خـــلال كونـــه متضمناً لأهم المعايير الإسلامية لتقويم السلوك الفردي والجماعي ، كما أنه يهيئ الظروف الاجتماعية الصحية اللازمة لتربية الشخصية المسلمة[135] .

3- الجهاد (القتال)

لا يستبعد قطب استخدام وسيلة القتال ، إلى جانب الجهاد باللسان لإحداث التغيير وتبديل الواقع السلبي ويتضح ذلك من خلال قوله : " كلا والله : إن هذا الدين لا يقوم ، إلا بجهدٍ وجهاد ولا يصلح إلا بعمل وكفاح ولا بد لهذا الدين من أهلٍ ، يبذلون جهـــدهم لـــرد الناس إليه ولإقامة شريعة الله في حياة الناس ، لا بد من جهـــاد بالحســـنى حـــين يكـــون الظالمون أفراداً ضالين يحتاجون إلى الإرشاد والإثارة وبالقوة حين تكون القوة الباغية في

طريق الناس تصدهم عن الهدى وتعطـل ديـن الله أن يوجـد وتعـوق شـريعة الله أن تقوم"[136].

وينسجم هذا المنهج الشامل في التغيير مع السنة النبوية ، حيث جاء في الحـديث الشريف " ما من نبيٍ بعثه الله في أمةٍ من قبلي ، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم أنها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولـون مـا لا يفعلـون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردلٍ "[137] .

وإذا كان الجهاد بالقوة وسيلة من وسائل تغيير الواقع الفاسد في حياة الأمة ، فإن في تركه إضعافاً للأمة وإذلالاً لها ، حتى تصبح نهباً للأمم من حولها يمارس في حقها كل أشكال التداعي والتسلط السياسي والاقتصادي والثقافي وهذا ما أخبر عنه الرسول صـلى الله عليه وسلم وحدث بالفعل لأمتنا الإسلامية المعاصرة " يوشك أن تداعى علـيكم الأمـم من كل أفقٍ كما تداعى الأكلة على قصعتها قال : قلنا يا رسول الله أمن قلةٍ بنا يومئذٍ قال: أنتم يومئذٍ كثير ولكن تكونون غثاءً كغثاء السيل ، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن قال : قلنا: وما الوهن قال : حب الحياة وكراهية الموت "[138] .

سابعاً : الأسرة المسلمة كوسيط تربوي

يأتي الاهتمام بالأسرة اليوم ، مواكباً لما تقوم به من وظائف حيويـة فـي حيـاة الأفراد والمجتمعات فهي "المؤسسة الفريدة في تربيتها وتنشئتها للأجيال الطالعة ولا يمكن لمؤسسة أخرى أن تباشر مهامها في عملية التنشئة الاجتماعية بنفس المقـدرة والكفـاءة ، فالأسرة تتوسط بين الفرد والمجتمع ، فمن ناحية تنقل ثقافة المجتمع إلـى الأفـراد ومـن ناحية أخرى ، تزود أفرادها بالأدوار التي تمكنهم من التفاعل والتعامـل مـع المؤسسـة الاجتماعية "[139] .

ويشير قطب إلى أن الطفل الإنساني في حاجة ماسة إلى رعاية الأسرة وملازمة الأبوين ، أكثر من حاجة أي طفل لحيوان آخر وذلك لأن الطفل الإنسـاني هـو أطـول الأحياء طفولة من غيره ، كما أن مرحلة الطفولة هي فترة إعداد وتهيئة وتدريب للـدور

المطلوب من كل حي باقي حياته ، ولما كانت وظيفة الإنسان هي أكبر وظيفة ودوره في الأسرة أعظم دور ، امتدت طفولته لتحسين إعداده وتدريبه للمستقبل(140) .

وتكتسب الأسرة أهميتها التربوية ، من خلال كونها المؤسسة الأولى في الحيـــاة الإنسانية وهي تزاول تنشئة العنصر الإنساني وهو أكرم عناصر هذا الكون في التصـــور الإسلامي(141) .

ويؤكد قطب على أن الأسرة ، لا يمكن أن يناظرها – كمحضـــن تربـــوي – أي جهاز وقد عبر عن ذلك بقوله " فقد أثبتت التجارب العملية ، أن أي جهـــاز غيـــر جهـــاز الأسرة ، لا يعوض عنها ولا يقوم مقامها ، بل لا يخلو من أضرار مفسدة لتكوين الطفـــل وبخاصة نظام المحاضن الجماعية ، التي أرادت بعض المذاهب المصطنعة المتعسّفة ، أن تستعيض بها عن نظام الأسرة في ثورتها الجامحة الشاردة ضد النظام الفطـــري الصـــالح القويم الذي قبله الله للإنسان "(142) .

ويشير قطب إلى الآثار السلبية الناتجة عن إقصاء الطفل الصغير – في بـــدايات حياته– عن الأسرة فيقول : " إن الطفل الذي يحرم من محضن الأسرة ، ينشأ شاذاً غيـــر طبيعي في كثير من جوانب حياته، مهما توافرت له وسائل الراحة والتربية في غير محيط الأسرة"(143).

ويشير قطب إلى أن الوالدين ، يندفعان – بالفطرة – إلى رعايـــة الأولاد وهمـــا يضحيان بكل شيء حتى بالذات ، ليمتص الأولاد كل رحيق وكل عافية وكل جهدٍ واهتمام منهما وهما سعيدان بذلك(144) .

فالوالدان يقومان برعاية الأولاد رعاية تلقائية ، مندفعة بذاتها لا تحتاج إلى مثير ولذا تتكرر في القرآن الكريم وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، الوصية بالإحســـان إلى الوالدين ولا ترد وصية الوالدين بالأولاد إلا نادراً وبمناسبة حالات معينة(145) .

وما من شكٍّ في أن الآباء ، فطروا على حب الأبناء وهم يدعون ربهم أن يرزقهم الذرية وقد عبر عن ذلك قوله تعالى – على لسان زكريا عليه السلام – : " **هُنَالِـكَ دَعَـا**

زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء " (آل عمران، آية:38).

ويؤكد قطب على المفهوم الشامل للرعاية الأسرية ، فهي لا تقتصر على الجانب البيولوجي الجسدي فحسب ، بل تتعداه إلى جوانب أخرى حيوية ومطلوبة وقد لخص أبرز الوظائف التربوية للأسرة ، في تنمية النشء جسدياً وروحياً وعاطفياً ، كما أنها مطالبة بتزويد النشء ، برصيد من المعرفة الإنسانية والتجارب التي تؤهله في حياة المجتمع الإنساني والمشاركة في حمل تبعته[146] .

وحتى تقوم الأسرة المسلمة بوظائفها التربوية تجاه الأبناء ، لا بد من توافر بعض المقومات في الأبوين ، وعلى رأسها الالتزام بالإسلام ولذا يوصي قطب الرجل المسلم ، بأن يبحث عن الفتاة الصالحة الأمينة إذا أراد أن يبني بيتاً مسلماً[147] .

وما من شك في أن التزام الزوجين بالدين " يشكل قاعدة للتفاهم بينهما ويوحد ميولهما واتجاهاتهما وأهدافهما ورغباتهما وسيجدان فيه – دائماً – المرجع الذي يحتكمان إليه ويطمئنان لحلوله السليمة "[148] وهكذا يكون الأبوان أقدر على أداء دورهما تجاه تربية النشء في ظل الاستقامة على منهاج الله والتدين الإيجابي ، فلا تنازع في هذا الدور ولا تناقض ينعكس سلباً على تربية الأبناء .

وينصح قطب المرأة المسلمة ، بأن لا تفني جهدها في العمل خارج البيت ، على حساب رعاية الأبناء ، مما يعني التضحية بالصحة النفسية للطفل ، الذي هو أغلى ذخيرة على وجه الأرض[149] .

ويرى قطب أن الأم المكدودة بالعمل والكسب ، لا يمكن أن تمنح الطفولة الناشئة حقها ورعايتها ويذكر بأن الإسلام ، أوجب على الرجل النفقة وجعلها فريضة عليه ، كي يتاح للأم من الجهد والوقت وهدوء البال ، ما تشرف به على النشء[150] .

ويرى الباحث أن لا غضاضة في عمل المرأة خارج البيت لا سيما في ظل وطأة الظروف الاقتصادية الصعبة ، طالما كان هذا العمل نافعاً ونظيفاً يمكنها من الحفاظ على كرامتها وعفتها وتوازن بين واجباتها في البيت وعملها خارجه ومن خلال التجارب

الواقعية، يتضح أن هناك الكثير من النساء المسلمات العاملات ، لم يمنعهن العمـل مـن الوفاء بالتزاماتهن تجاه البيت وتنشئة الأبناء ، طالما توفر لديهن الوعي بدورهن وانطلقـن في أدائه من الوازع الديني واستشعار المسئولية أمام الله عز وجل .

ويشير قطب إلى أن " الأصل في التقاء الـزوجين ، هـو السـكن والاطمئنـان والاستقرار ليظل السكون والأمن جو المحضن الذي تنمو فيه الفراخ الزغب وينـتج فيـه المحصول البشري الثمين ويؤهل فيه الجيل الناشئ لحمل تراث التمدن البشري والإضـافة إليه "[151] .

ويحذر قطب من مخاطر انتفاء الاستقرار في البيت المسلم وتصدعه وانهياره مما يؤدي إلى تشريد الأبناء وتعريضهم إلى الأمراض النفسية والعصبية[152] .

ويرى قطب أن مراعاة مبدأ القوامة للرجل ، من الوسائل التي تكفل رصانة البناء الأسري وتُمكن الزوجين من أداء دورهما في تربية الأبناء وأما الأطفال الذين يعيشون في مؤسسة عائلية ، القوامة فيها ليست للأب ، قلما ينشأون أسوياء كما أنهم أكثـر عرضـة للانحراف الخلقي والشذوذ في تكوينهم النفسي والعصبي وسلوكهم العملي[153] .

ويبين قطب أن القوامة بالنسبة للرجل ، لا تعني إلغاء شخصية المرأة في البيـت ولا في المجتمع الإنساني ، فهي بالنسبة للرجل ذات مضمون أخلاقي ووظيفة داخل كيان الأسرة لإدارة هذه المؤسسة وصيانتها[154] .

ومن الجدير ذكره في هذا المقام أن " دور القوامة لا يتحقق والأمر المطلوب في سلوك الأهل ، لا يبرز إلا إذا كان الرجل ذا شخصية قوية جذابة محببـة وخلـق نبيـل وتسامح وإغضاء عن الهفوات الصغيرة ووقوف حازم عند حدود الله "[155] .

ثامناً : تربية الجماعة المسلمة

اعتاد الباحثون في مجال التربية بشكل عام الحديث عن تربية الفرد فـي إطـار الجماعة ولكن قطب في ظلاله ، تطرق في مواضع عديـدة لتربيـة الجماعـة المسـلمة

وإعدادها لمهامها ووظائفها وله تصور خاص حول هذه القضية يمكن توضيحه من خلال الجوانب التالية :

أ) مبررات الحاجة للجماعة المسلمة وأهميتها

يؤكد قطب على أن طبيعة الإسلام ، هي التي تقتضي قيام الجماعة المسلمة ، التي يهيمن عليها الإسلام ويتحقق بها وجوده الواقعي ، فهو مبني على أساس أن تكون هناك جماعة الإسلام ، عقيدتها وشريعتها ونظام حياتها الإسلام وهي بذلك تعد المحضن الذي يحمي التصور الإسلامي ويحتضن فكرة الإسلام وأخلاقه وآدابه في صورة واقعية[156] .

إن قيام هذه الجماعة ، ضرورة من ضرورات المنهج الإلهي ، فهي الوسط الذي يتنفس فيه هذا المنهج وهي تشكل البيئة التي ينمو فيها الخير والحق بلا كبير جهدٍ ولا ينمو فيها الشر والباطل ، إلا بعد عسرٍ ومشقة[157] .

وهكذا يبدو أن هناك مبررات شرعية وتربوية لوجود الجماعة المسلمة كوسيط فاعل من أجل تحقيق أهداف الإسلام وبناء الفرد والمجتمع على أسس إسلامية ، وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن جماعة الإخوان المسلمين – التي ينتمي إليها قطب – من أكثر الجماعات الإسلامية المعاصرة التي اعتمدت في سيرها منهاجاً تربوياً ذا معالم واضحة لتربية أفرادها انطلاقاً من اعتقادها بأن الإنسان لا بد له من مربي والعضو الذي يريد السير في الجماعة لا بد أن يربيه واحداً منها ، قد تخرج من قبله ، إذ بدون تربية ومربي لا تصلح الأمور "[158] .

ب) خصائص تربية الجماعة

يعرض قطب لجملة من الخصائص ، التي يرى ضرورة توافرها في المنهاج الذي تتربى عليه الجماعة المسلمة وتنسجم هذه الخصائص مع طبيعة المنهاج التربوي الإسلامي من جانب ، ومن جانب آخر تتناسب مع الأدوار المناطة بهذه الجماعة .

فالمنهاج الذي تتربى عليه الجماعة المسلمة ، شامل يهتم ببناء التصور الإيماني المتميز عن التصورات المنحرفة في المجتمع[159] .

وقد استهدفت التربية الربانية للجماعة المسلمة ، الجانب الاجتماعي مـــن خـــلال اجتثاث تقاليد المجتمع الجاهلية وترسيخ الآداب الاجتماعية لدى أفرادهـــا وكـــذلك تربيـــة مشاعرهم وعواطفهم وأخلاقهم[160] .

وتربية الجماعة المسلمة – كما يؤكد قطب – يجب ألا تكون منعزلة عـــن واقـــع المجتمع ومعترك الأحداث ، باستثناء العزلة الشعورية بالتصور الإيماني[161] .

وحينما تكون تربية الجماعة ، متصلة بواقع المجتمع ومتفاعلة مع أحداثه ، فـــإن ذلك يترتب عليه أن تكون تربيتها متجددة متطورة تستجيب لمتطلبات التغير الحادث فـــي بنية المجتمع الاجتماعية والثقافية ومن ثم تصبح أكثر تأثيراً وحيويـــة وقـــدرة علـــى أداء وظائفها المنشودة .

ولكون الطبيعة البشرية ، في حاجة دوماً إلى علاج ما يطرأ عليها من الضـــعف والحرص والشح والتقصير والغضب – مهما بلغ مجموعها مـــن التفـــوق فـــي الإيمـــان والتربية – كانت حاجة الجماعة المسلمة إلى تربية دائمة[162] .

ج) أهداف تربية الجماعة المسلمة

يحدد قطب هدفين أساسيين لتربية الجماعة المسلمة ، هدف قريـــب يتمثـــل فـــي إعدادها لأداء دورها التربوي المتمثل في بناء الفرد المسلم ، الذي لا يُبنـــى بعيـــداً عـــن الجماعة[163] وهذا ما ينسجم مع طبيعة التربية الإسلامية ، فهي عملية اجتماعية لا تنبـــت من فراغ ، لكون الفرد المسلم يعيش في إطار اجتماعي معين ، يـــؤثر فيـــه ويتـــأثر بـــه وترتبط مطالبة وحاجاته بديناميات هذا النظام[164] .

ويندرج تحت هذا الدور ، بناء البيت المسلم وحمايته لكونه المحضن الذي تتم فيه الوقاية من النار وهو عبارة عن قلعة يعيش فيها الرجل المسلم والمرأة المسلمة ومن ثم لا ينبغي أن يُترك ليُهاجَم من قبل العناصر المفسدة والجائرة[165] .

ومن الطبيعي أن المحافظة على البيت المسلم نقياً ملتزماً ، يعد عاملاً قويـــاً مـــن عوامل نجاح دوره في تربية النشء وحينما تكون الجماعة المسلمة مطالبة برعايته ، فإن ذلك يعكس درجة عالية من التعاون والتساند والتكامل بين محاضن التربية المسئولة عـــن إعداد الجيل المسلم.

وأما الهدف البعيد المرجو من وراء تربية الجماعة المسلمة – كما ذهب قطب – فهو إعدادها لقيادة البشرية بكل ضعفها ونقصها وشهواتها ونزواتها وانحرافهـا – قيـادة راشدة فاعلة[166] .

ويفصح قطب عن هذا الهدف أكثر من خلال قوله : لقد جاء هذا القرآن ليربـي أمة ويقيم لها نظاماً تحمله إلى مشارق الأرض ومغاربها وتعلم به البشرية وفق المنهـاج الكامل[167] ولكي تستطيع الجماعة المسلمة ، أن تقود البشرية كافة ، كان لا بد من تميزها وتفوقها التربوي والذي لا يتحقق إلا من خلال تربية أصيلة مستمدة من كتاب الله الكريم، فهو مصدر المعرفة والتربية والتوجيه للجماعة المسلمة ، كذلك من الضـروري تـوافر المربي القدوة الهين اللين المتواضع الذي يكون له منزلة في نفوس من يربيهم[168] .

وهكذا يبدو أن سيد قطب يطرح مفهومـاً جديداً – يمكن أن يُطلق عليه ، التربية العالمية في مقابل مفهوم عولمة التربية الذي يطرح اليوم بقوة وكأنه يريد أن يقول لنـا : إن النمط التربوي الإسلامي ، هو النمط الذي يستحق التعميم لكونه لا يصطدم مع الفطرة الإنسانية كما أنه يحمل بين طياته كل أسباب الهداية والسعادة والتحضر والرقـي للفـرد والمجتمع والناس جميعاً كما يفهم من خلال قوله عز وجل : " **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّـا رَحْمَـةً لِّلْعَالَمِينَ** " (الأنبياء ، آية : 107) .

وجاء في محكم التنزيل : " **أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** " (يونس ، آية : 35) .

النتائج والتوصيات والمقترحات

النتائج

توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج ، يمكن تلخيص أبرزها فيما يلي :

1- أبرزت الدراسة الإعجاز التربوي في المنهج الإسلامي والذي تجسد من خلال توافقه مع الفطرة الإنسانية وتقديره لحاجاتها ودوافعها وحرصه على توجيهها نحـو الخيـر وتركيزه على الأساليب العملية في التربية من خلال دعوة الإنسان إلى التأمـل فـي الآيات الكونية وحثه على الملاحظة والممارسة والتجريب ودعوته إلى الانفتاح علـى

خبرات الآخرين النافعة مما يعني تقديم خبرات تربوية مباشرة وغير مباشرة تثـــري المعرفة الإنسانية .

2- لم يختلف قطب في نظرته للطبيعة الإنسانية من حيث جنوحها إلى الخير أو الشر عن نظرة العلماء المسلمين فهو يرى أن لها استعداداً مزدوجاً لهما ، وقــد قــدم تفســيراً خاصاً لفساد الفطرة الإنسانية ، لم يتطرق إليه العلماء المسلمون ، حيث اعتبر خروج الطبيعة الإنسانية عن ناموس الكون وانغماسها في الترف والتأثر بعوامل الجاهلية من أكثر العوامل المسببة في إفسادها وانحرافها .

3- لقطب تصنيف خاص للقيم حسب مصدرها ، حيث ذهب إلى أن القــيم نوعــان قــيم السماء وقيم الأرض وقد جعل القيم الإيمانية على رأس السلم القيمي وهذا ما ذهبــت إليه معظم الدراسات الإسلامية المعاصرة التي عالجت موضوع القيم .

4- قدم قطب مفهوماً جديداً للتغير الشامل الذي يتجاوز حد المجتمع إلى العالم بأســره ، من خلال استبدال النظام الجاهلي بالنظام الإسلامي وفق عملية مدروسة ومتدرجة .

5- التغير الاجتماعي والثقافي ، ليس ظاهرة حتمية ، بل هو عملية يشكل الإنسان فيهــا عنصراً أساساً كعامل من عوامل التغيير كما أن التربية هي أداة فاعلة فــي إحداثــه وهذا ما ينسجم مع النظريات الحديثة التي تطرقت إلى عوامل التغيير وزيــادة علــى ذلك لم يغفل قطب الجانب الديني في تفسير عوامل التغيير حيث أكــد علــى أنــه لا يحدث بعيداً عن مشيئة الله وإرادته كما لم يستبعد استخدام القوة **(القتال)** كنــوع مــن أنواع الجهاد المشروع وفقاً لما جاء في الكتاب والسنة .

6- أولى قطب اهتماماً بالغاً بالأسرة المسلمة كعنصر حيوي في المجتمــع وأكّــد علــى دورها التربوي الشامل والمتكامل الذي لا يمكن أن يستعاض عنــه مــن خــلال أي مؤسسة أخرى وقد حذر من إرهاق المرأة بالعمل خــارج البيــت ، علــى حســاب واجباتها تجاه تنشئة الأبناء واعتبر ذلك خسارة كبيرة وفادحة .

7- وجود الجماعة المسلمة بعد ضرورة شرعية ، تتمثل في إقامة شرع الله فــي الأرض وقيادة البشرية ، كما يشكل ضرورة تربوية تتجسد في كون هــذه الجماعــة ، هــي

المسئولة عن تربية الفرد المسلم ورعاية الأسرة المسلمة ومن أجل ذلك كان لا بد من أن تتربى تربية أصيلة مستمدة من كتاب الله عز وجل .

التوصيات

في ضوء نتائج الدراسة ، يوصي الباحث بما يلي :

1- ضرورة رجوع الدارسين والباحثين إلى القرآن الكريم ، لاستنباط ما فيه من مضامين تربوية تفي بحاجات المتعلمين وحتى يتم ذلك لا بد من السعي لامتلاك المهارات الأساسية للتعامل مع كتاب الله قراءةً وفهماً وممارسة .
2- تربية النشء المسلم على حفظ كتاب الله وتطبيق ما فيه في واقع حياتهم .
3- تدريب الباحثين على الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة كإطار مرجعي، يحتكمون إليه في القضايا التعليمية والتربوية الخلافية .
4- اهتمام المدارس في بلاد المسلمين ، بأساليب التربية العملية والحرص على ربط المعلومات بواقع الحياة والتخفيف ما أمكن من أساليب التعليم النظري القائم على الحفظ والاستظهار .
5- الاهتمام بغرس وتنمية القيم الإسلامية في جميع مراحل التعليم من خلال ربطها بالعقيدة الإسلامية والعبادات .
6- توعية الجيل المسلم بقضية التغير الاجتماعي والثقافي ، من حيث المفهوم والعوامل ودور الإنسان فيها والمبادئ التي تقوم عليها وأن يكون ذلك كله ، منطلقاً من التصور الإسلامي المستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجتهادات العلماء المسلمين .
7- تنمية مهارات التفكير الناقد لدى المتعلمين المسلمين وتنمية إحساسهم بالمسئولية تجاه واقعهم المعاش .
8- إعداد برامج تدريبية للدعاة إلى الله – واعظين وخطباء – من أجل تطوير أساليبهم وتفعيل دورهم الإرشادي والتربوي في المجتمع .
9- تخصيص برامج إرشادية (إذاعية ، وتلفازية) لتوعية الأسرة بوظائفها التربوية وتنمية قدراتها على أداء هذه الوظائف على أفضل وجه .

المقترحـــات

يقترح الباحث إجراء الدراسات التالية :

1- التربية الإيمانية من خلال تفسير الظلال .
2- التربية الجهادية من خلال تفسير الظلال .
3- الأبعاد التربوية لمفهوم الحياة ، كما جاءت في تفسير الظلال .
4- التغير الاجتماعي والثقافي (مفهومه وآلياته من خلال كتابات سيد قطب) .
5- الإعجاز التربوي من خلال القرآن الكريم .
6- منهج التغيير الاجتماعي والثقافي لدى بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة (دراســة مقارنة).
7- الدور التربوي للأسرة في المجتمع الفلسطيني في ضوء التصور الإســلامي (الواقــع والمأمول) .
8- الدور التربوي لبعض الجماعات والأحزاب الإسلامية والوطنية في بيئــات عربيــة وإسلامية مختلفة .

هوامش الدراســة

1- الكيلاني ، ماجد عرسان : تطور مفهوم النظرية التربوية ، دار ابن كثير ، دمشق ، 1985 ، ص 265-268 .
2- النباهين، علي: أصول التربية الإسلامية، جامعة الأزهر، غزة ، 1995 ، ص 8-12.
3- علي، سعيد إسماعيل: رؤية إسلامية لقضايا تربوية، دار الفكر، القاهرة، 1993، ص253.
4- العمايرة، محمد حسن: الفكر التربوي الإسلامي، دار المسيرة، عمان، 2000، ص 142.
5- خياط ، محمد : " التحدي الإعلامي في مجال التربية " ، دراسات تربويــة واجتماعيــة ، كليــة التربية، جامعة حلوان ، العدد الأول ، 1996 ، ص 57 .
6- زيغور، شفيق: الفكر التربوي عند العلموي، دار إقرأ، بيروت ، 1986 ، ص 8 .
7- أبو العينين، علي خليل: أصول الفكر التربوي الحديث، دار الفكــر العربــي، القــاهرة، 1986، ص334.
8- العلواني ، طه : الأزمة الفكرية المعاصرة ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فرجينيــا، 1992 ، ص 27 .

9- مصطفى ، شريف : " الفكر التربوي الإسلامي " ، مجلة المعلم الطالب ، دائرة التربية والتعليم ، الأونروا ، عمان ، 1990 ، ص 239 .

10- أبو فارس ، محمد عبد القادر : منهج التغيير عند الشهيدين حسن البنا وسيد قطب ، دار البشير ، عمان ، 1999 .

11- الحوراني ، ياسر : " الفكر الاقتصادي عند سيد قطب " أبحاث اليرموك ، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد الأول ، 1999 ، ص 169-196 .

12- شبيب، جمال الدين: منهج سيد قطب في الدعوة، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، طنطا ، 1994 .

13- الطرابلسي، عبد الله: التغيير الجذري في فكر الشهيد سيد قطب، دار البيارق، بيروت، 1993.

14- كشميري ، سيد بشير أحمد : عبقري الإسلام سيد قطب ، الأديب العملاق والمجدد الملهم في ضوء آثاره وإنجازاته الأدبية ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1986 .

15- ياسين، عبد الله: التربية الإسلامية في ظلال القرآن دراسة حركية، دار الأرقم، عمان، 1983.

16- فائز، أحمد: دستور الأسرة في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1980 .

17- الخالدي، صلاح عبد الفتاح : سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد ، دار القلم ، دمشق، 1999 ، ص 15-55 .

18- المرجع السابق ، ص 124-329 .

19- قطب، سيد: طفل من القرية، الدار السعودية للنشر، جدة، ب.ت، ص ص 53،52.

20- الخالدي ، (مرجع سابق) ، ص 36-137 .

21- كشميري ، (مرجع سابق) ، ص 57 .

22- الخالدي ، (مرجع سابق) ، ص 330 .

23- قطب ، (مرجع سابق) ، ص 129 .

24- الخالدي، صلاح عبد الفتاح: سيد قطب الشهيد الحي، مكتبة الأقصى، عمان، 1981، ص17.

25- قطب ، (مرجع سابق) ، ص 41 .

26- الخالدي ، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد ، (مرجع سابق) ، ص 15 .

27- قطب، سيد: نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر، ط2، الدار السعودية، جدة، 1969، ص 63.

28- الخالدي ، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد ، (مرجع سابق) ، ص 15 .

29- مسلم ، عدنان أيوب ، " المراحل التكوينية في حياة سيد قطب " ، ملخص رسالة دكتوراه ، جامعة متشغان ، الولايات المتحدة ، عرض وتعليق (حسن حسين صافي) ، مجلة هدى الإسلام ، القدس، العدد (3) ، 1985 ، ص 63 .

30- الخالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، (مرجع سابق)، ص ص 281، 282.

31- المرجع السابق ، ص 17 .

32- كشميري ، (مرجع سابق) ، ص 181 .

33- العظم ، يوسف : سيد قطب رائد الفكر الإسلامي ، حياته ومدرسته وآثاره ، دار القلـم، دمشـق، 1980 ، ص 329-332 .

34- الخالدي ، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد ، (مرجع سابق) ، ص 575 .

35- المرجع السابق ، ص ص 16 ، 17 .

36- كشميري ، (مرجع سابق) ، ص 184 .

37- قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج3، دار الشروق، بيروت ، 1980 ، ص 1422 .

38- الخالدي، صلاح عبد الفتاح: مدخل إلى ظلال القرآن، دار المنارة، جدة، 1986، ص82.

39- المرجع السابق ، ص 100-108 .

40- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج3 ، ص 1468 .

41- المرجع السابق ، ج6 ، ص 3966 .

42- المالكي، محمد علوي: "أصول التربية الإسلامية"، مجلـة منـار الإسـلام، العـدد (2)، 1995، ص114 .

43- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج6 ، ص 3946 .

44- النحلاوي، عبد الرحمن: التربية بالآيات، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1989، ص ص 37، 38.

45- المرجع السابق ، ص 71-88 .

46- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج4 ، ص 1766 .

47- المرجع السابق ، ص 1307 .

48- نجاتي، محمد عثمان: القرآن وعلم النفس، ط4، دار الشروق، القاهرة، 1989، ص85.

49- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج4 ، ص 2489 .

50- قطب، محمد: الإنسان بين المادية والإسلام ، دار الشروق ، بيروت، 1983، ص 91.

51- نجاتي، محمد عثمان: الحديث النبوي وعلم النفس، ط4، دار الشروق، القاهرة، 2000، ص 284.

52- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج4 ، ص 1478 .

53- المرجع السابق ، ج5 ، ص 2832 .

54- محمود، إبراهيم وجيه: التعلم، أسسه ونظرياته وتطبيقاته، دار المعرفة الجامعية، 1990، ص 80.

55- شلهوب ، فؤاد ، المعلم الأول صلى الله عليه وسلم قدوة لكل معلم ومعلمة ، دار القاسـم للنشـر والتوزيع ، الرياض ، 1996 ، ص ص 89 ، 90 .

56- بن حنبل، أحمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج18، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ص 9.

57- الغزولي ، عبد العزيز بين هاشم : ابن الجوزي ، الإمام المربي والواعظ البليغ والعالم المُتفنّن ، دار القلم ، دمشق ، 2000 ، ص 115 .
58- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج1 ، ص ص 129 ، 130 .
59- قطب، سيد، "الكتب المدرسية تبتعد عن الحياة"، مجلة التربية المعاصرة، رابطة التربية الحديثة، القاهرة، العدد 32، 1994، ص ص 5، 6، نقلاً عن مجلة الشئون الاجتماعية، عدد 8 ، 1940.
60- ابن ماجة ، الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني : سنن ابن ماجة ، تحقيق (محمد عبد الباقي) ، ج2 ، دار الفكر ، ب.ت ، ص 1395 .
61- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج1 ، ص 218 .
62- المرجع السابق ، ج3 ، ص 1422 .
63- المرجع السابق ، ج1 ، ص 229 .
64- المرجع السابق ، ص 129 ، ص 229 .
65- المرجع السابق ، ص 422 .
66- قطب، سيد: مقومات التصور الإسلامي ، دار الشروق ، القاهرة ، 1986 ، ص 102.
67- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج4 ، ص ص 2143 ، 2144 .
68- ناصر ، إبراهيم : مقدمة في التربية ، دار عمّار ، عمّان ، 1990، ص ص 62، 63.
69- قطب ، في ظلال القرآن (مرجع سابق) ، ج3 ، ص 1304 .
70- مسلم ، الإمام أبي الحسن : صحيح مسلم تحقيق (محمد عبد الباقي) ، ج4 ، دار إحياء الكتب العربية ، 1955 ، ص 2197 .
71- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج4 ، ص 2139 .
72- المرجع السابق ، ج1 ، ص ص 476 ، 477 .
73- المرجع السابق ، ج6 ، ص 4917 .
74- الغزالي ، محمد : خلق المسلم ، دار القلم ، دمشق ، 1980 ، ص 23 .
75- صالح ، عبد الرحمن وآخرون : مدخل إلى التربية الإسلامية وطرق تدريسها ، دار الفرقان ، الأردن ، 1991 ، ص 36 .
76- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج6 ، ص 3918 .
77- المرجع السابق ، ج1 ، ص 422 .
78- المرجع السابق ، ج4 ، ص 2381 .
79- المرجع السابق ، ج3 ، ص 1283 .
80- المرجع السابق ، ج6 ، ص 3958 .
81- مسلم ، (مرجع سابق) ، ج1 ، ص 65 .

82- الكيلاني، ماجد عرسان: فلسفة التربية الإسلامية، مكتبة هادي، مكة المكرمة، 1988، ص 300.
83- عرب ، محمد : الشخصية اليهودية ، اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، 1983 ، ص 7.
84- خليفة ، عبد اللطيف محمد ، ارتقاء نسق القيم ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويـت ، العـدد 160 ، 1992 ، ص 16 .
85- عبد الغفار ، أحلام رجب : " التطور القيمي لطلاب كلية التربية النوعية " ، التربية المعاصـرة، القاهرة ، عدد 30 ، 1994 ، ص 179 .
86- أبو العينين ، علي خليل : القيم الإسلامية والتربية ، مكتبة إبراهيم حلبـي ، المدينـة المنـورة ، 1988 ، ص 34 .
87- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج6 ، ص 3823 .
88- المرجع السابق ، ج5 ، ص 3186 .
89- المرجع السابق ، ج4 ، ص 1903-1905 .
90- المرجع السابق ، ج3 ، ص 2258 .
91- المرجع السابق ، الصفحة نفسها .
92- قطب، سيد: العدالة الاجتماعية في الإسلام، ط12، دار الشروق ، القاهرة ، 1989، ص 38.
93- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج5 ، ص 2674 .
94- المرجع السابق ، ج4 ، ص 2267 .
95- المرجع السابق ، ج1 ، ص ص 60 ، 61 ، ج3 ، ص 1258 .
96- المرجع السابق ، ج1 ، ص 61 .
97- الهاشمي ، عبد الحميد ، عبد السلام ، فاروق : " البناء القيمي للشخصية كمـا ورد فـي القـرآن الكريم " ندوة خبراء أسس التربية ، مكة المكرمة ، 1980 ، ص 16 من البحث.
98- أبو العينين ، القيم الإسلامية والتربية ، (مرجع سابق) ، ص 209 .
99- رمزي ، عبد القار هاشم : الدراسات الإنسانية في ميزان الرؤية الإسلامية – دراسة مقارنة ، دار الثقافة ، الدوحة ، 1984 ، ص ص 39 ، 40 .
100- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج3 ، ص 3823 .
101- المرجع السابق ، ج4 ، ص 2272 .
102- المرجع السابق ، ج6 ، ص 3344 .
103- مسلم ، (مرجع سابق) ، ج4 ، ص 1987 .
104- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ج1 ، ص 477 .
105- المرج السابق ، ج3 ، ص 1258 .
106- المرجع السابق ، ج5 ، ص ص 3161 ، 3162 .

107- خياط ، محمد جميل بن علي : المبادئ والقيم في التربية الإسلامية ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ، 1996 ، ص 35 .
108- حسنه، عمر عبد: رؤية في منهجية التغيير، المكتب الإسلامي، بيروت،1994، ص27.
109- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج4 ، ص 2296 .
110- قطب ، سيد : في التاريخ فكرة ومنهاج ، دار الشروق ، بيروت، 1974 ، ص 16 .
111- الأسمر ، أحمد رجب : فلسفة التربية الإسلامية – انتماء وارتقاء ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان ، 1997 ، ص 311 .
112- بدران ، شبل ، محفوظ ، فاروق ، أسس التربية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1977 ، ص 106 .
113- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج1 ، ص ص 510 ، 511 .
114- المرجع السابق ، ص 845 .
115- المرجع السابق ، ص 557 .
116- البخاري ، عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، دار الفكر ، ج2، ب.ت ، ص ص 287 ، 288 .
117- قطب ، سيد : معالم في الطريق ، دار الشروق ، بيروت ، ب.ت ، ص 99 .
118- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج3 ، ص 1255 .
119- المرجع السابق ، ج4 ، ص 2011 .
120- قطب ، معالم في الطريق ، (مرجع سابق) ، ص 161 .
121- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ج5 ، ص 3188–3189 .
122- المرجع السابق ، ج3 ، ص 1536 .
123- المرجع السابق ، ص ص 1535 ، 1536 .
124- حسنة ، (مرجع سابق) ، ص 17 .
125- مطر ، سيف الإسلام علي : " دور التربية الإسلامية في التغير الاجتماعي " ، المؤتمر الخامس للتربية ، القاهرة ، 8–13 مارس ، 1987 ، ص 482 .
126- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج3 ، ص 1559 .
127- المرجع السابق ، ج2 ، ص 714 .
128- الرشدان، عبد الله: علم الاجتماع التربوي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، 1984، ص257.
129- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج4 ، ص 2049 ، ج6 ، ص 3619 .
130- المرجع السابق ، ج2 ، ص 1038 .
131- الأسمر ، (مرجع سابق) ، ص 315 .

132- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج2 ، ص 973 .

133- الحمد، أحمد بن ناصر بن محمد: العقيدة نبع التربية، مكتبة التراث، مكة المكرمة، 1988، ص43

134- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج1 ، ص ص 447 ، 448 .

135- علي، سعيد إسماعيل: أصول التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993، ص 179.

136- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج6 ، ص ص 992 ، 993 .

137- مسلم ، (مرجع سابق) ، ج1 ، ص 70 .

138- بن حنبل ، (مرجع سابق) ، ج5 ، ص 278 .

139- الشخيبي ، علي السيد وآخرون : الأصول الاجتماعية للتربية ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ، 1998 ، ص 75 .

140- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج1 ، ص 235 .

141- المرجع السابق ، ج2 ، ص 650 .

142- المرجع السابق ، ج1 ، ص 235 .

143- المرجع السابق ، ج2 ، ص 650 .

144- المرجع السابق ، ج4 ، ص 2221 .

145- المرجع السابق ، ج6 ، ص 3261 .

146- المرجع السابق ، ج1 ، ص 235 ، ج2 ، ص 620 .

147- المرجع السابق ، ج6 ، ص 3619 .

148- التميمي ، عز الدين الخطيب : فقه الأسرة في الإسلام ، المركز الثقافي الإسلامي ، عمان ، 1985 ، ص 37 .

149- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج1 ، ص 2361 .

150- قطب ، سيد : السلام العالمي والإسلام ، دار الشروق ، القاهرة ، ب.ت ، ص 67 .

151- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ج3 ، ص 1412 .

152- المرجع السابق ، ج2 ، ص 653 .

153- المرجع السابق ، ص ص 651 ، 652 .

154- المرجع السابق ، ص 653 .

155- مسلمي ، مصطفى : تربية الأسرة المسلمة في ضوء سورة التحريم ، دار المنارة ، مكة المكرمة، 1991 ، ص 66 .

156- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج6 ، ص 2620 .

157- المرجع السابق ، ج1 ، ص ص 444 ، 445 .

158- حوى ، سعيد : المدخل إلى الدعوة الإسلامية ، ط2 ، جمعية عمال المطابع التعاونيـــة، عمـــان، 1979 ، ص 104 .

159- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج6 ، ص 3536 .

160- المرجع السابق ، ج1 ، ص 39 ، ج2 ، ص 663 ، ج6 ، ص 2534 .

161- المرجع السابق ، ج6 ، ص 3536 .

162- المرجع السابق ، ج2 ، ص 741 ، ج6 ، ص 3554 .

163- المرجع السابق ، ج6 ، ص 3552 .

164- بركات، لطفي: الطبيعة البشرية في القرآن الكريم، دار المريخ، الرياض، 1981، ص 23.

165- قطب ، في ظلال القرآن ، (مرجع سابق) ، ج6 ، ص 3620 .

166- المرجع السابق ، ج1 ، ص 484 .

167- المرجع السابق ، ج4 ، ص 2253 .

168- المرجع السابق ، ج2 ، ص 758 ، ج3 ، ص 1423 ، ج4 ، ص 2535 .